المبحث الأول :

المماثلة فى الصوائت

المماثلة فى اللغة : هى مفاعلة من الفعل الثلاثى المزيد بحرف واحد، يقال ماثلة إذا ساواه، ولا تكون المماثلة إلا فى المتفقين فى الجنس تقول : نحوه كنحوه، وفقهه كفقهه، ولونه كلونه، وطعمه كطعمه[١].

ويراد من المماثلة فى اصطلاح علماء الأصوات : تأثر الأصوات اللغوية بعضها ببعض فى المتصل من الكلام، وقد عرفها بعضهم بأنها عبارة عن «التعديلات التكييفية للصوت بسبب مجاورته – ولا نقول ملاصقته – لأصوات أخرى»، أو هى «تحول الفونيمات المتخالفة إلى متماثلة، إما تماثلا جزئيا أو كليا»[٢].

والمماثلة الجزئية هى التى يؤثر فيها صوت فى صوت آخر تأثيراً جزئيًا، بحيث لا يتطابق الصوتان اللذان أثر أحدهما فى الآخر، ومن أمثلة ذلك قولهم مَمْبك، يريدون : من بك، وقولهم : شمْباء وعمْبر، يريدون : شنباء، وعنبرا[٣]، قال سيبويه : لم يجعلوا النون باء لبعدها فى المخرج، وأنها ليست فيها غنة، لكنهم أبدلوا من مكانها أشبه الحروف بالنون، وهى الميم[٤]، فالباء أثرت فى النون تأثيراً جزئيًا فحولتها إلى الميم الموافقة لها فى المخرج وفى بعض الصفات.

أما المماثلة الكلية فهى التى يفنى فيها أحد الصوتين فى الآخر، فيتطابقان كل المطابقة، وذلك كما فى قولهم : اطعّن، وادّان، على وزن افتعل من الثلاثى طعن، ودان، وكما فى قراءة بعضهم : (الحمدُ لله) بضم الدال واللام، وقراءة بعضهم الآخر : (الحمدِ لله) بكسر الدال واللام[٥].

---

(١) لسان العرب : مادة (مثل)، وتاج العروس ٨ / ١١٠ (مثل).
(٢) دراسة الصوت اللغوى – أحمد مختار عمر ٣٢.
(٣) ينظر الكتاب لسيبوية ٤ / ٤٥٣.
(٤) السابق من الكتاب. (٥) ينظر الخصائص ٢ / ١٤٤.

والمماثلة تقع بين الصوامت، وبين الصوائت، وتقع كذلك بين الصامت والصائت[١].

وقد عبّر العلماء عن المماثلة بتعبيرات مختلفة، وكان مؤداها واحداً، فسيبويه والمتقدمون والمتأخرون عرضوا للمماثلة بين الصوامت فى باب الإدغام[٢]، وابن جنى المتوفى ٣٩٢هـ عرض فى كتابه لتأثر الحركة بحركة أخرى، متقدمة عليها أو متاخرة عنها، وسمّى الحركات فى صورتها الجديدة الناجمة عن التأثر «حركات الإتباع»[٣]، يشير إلى المماثلة بين الصوائت.

وقد عرض المستشرق الألمانى (براجستراسر) أيضًا فى كتابه «التطور النحوى للغة العربية» لما أسماه «تغير الحركات»، وعدّ من أنواعه الإبدال فى الحركات، وكان يعنى به انقلاب مخرج الحركة، وقد ذكر أن للحروف الصائتة مخارج مثل مخارج الحروف الصامتة، غير أن تحديدها وتمييزها مشكل.. وذكر أيضًا أن من أهم أنواع الإبدال فى الحركات «التشابه»، وأراد منه مشابهة الحركة لحركة أخرى، ومشابهة الحركة لحرف صامت[٤].

والنوع الأول – كما يفهم من أمثلته – هو بعينه إتباع الحركات أو المماثلة فى الصوائت.

وقد أوضح براجستراسر أن التشابه فى الحركات لا يكون إلا منفصلاً؛ لأن بين الحركتين حرفًا صامتًا فارقا بينهما[٥].

وهذا يعنى أن المماثلة بين الصوائت لا تكون تجاورية، وإنما تكون متباعدة دائمًا، أى لا يتجاور فيها الصوتان اللذان يؤثر أحدهما فى الآخر.

هذا وقد توالت الإشارة إلى ظاهرة المماثلة فى كتب المحدثين العرب، ولم يكن هؤلاء على درجة واحدة فيما كتبوه عنها، فمنهم من اقتصر فى حديثه على المماثلة فى الأصوات الصامتة[٦]، ومنهم من أشار بجانب ذلك إلى أن تأثر

---

(١) ينظر أبنية العربية فى ضوء علم التشكيل الصوتى ص ١٧٥ وما بعدها.
(٢) ينظر الكتاب ٤/ ٤٣١ وما بعدها. (٣) ينظر الخصائص ٢/ ٣٣٣ – ٣٣٧.
(٤) التطور النحوى للغة العربية ٦٢. (٥) السابق.
(٦) ينظر التجويد والأصوات، د. إبراهيم نجا ص ٩٦ ط ١٩٧٢م – السعادة.

الأصوات اللغوية بعضها ببعض قد يكون فى أصوات اللين أيضًا، وهو ما يسمى بانسجام أصوات اللين[١].

ويستفاد من النظر فيما كتبوه أن الشرط الأساسى لتحقق المماثلة فى الصوامت أن يكون التقاء الصوتين مباشراً، بحيث لا يفصل بينهما أى فاصل ولو كان هذا الفاصل حركة قصيرة[٢].

وقد أفرد هذه الظاهرة بالحديث أيضًا الدكتور أحمد علم الدين الجندى تحت عنوان «المماثلة فى الحركات»، وهو لا يرى بأسا فى أن يطلق عليها ظاهرة الانسجام، التى قد تبدو فى الحركتين من الكلمة أو من الكلمتين، ويرى أن السر فى وجودها اعتماد الناطقين بها – فى أول الأمر – على السماع وعلى النطق والإنشاد، مما يتيح للمتكلم أن يجرى على طبيعته دون تقيد بما يفرضه نظام الكتابة العربية، وهو يعنى فى كل شواهده بنسبة المماثلة إلى القبائل التى عرف عنها الميل إلى الانسجام بين الأصوات الصائتة، وهى القبائل البدوية فى معظم الأحيان، لأن لهجتهم متطورة، وتجنح فى تطورها إلى أن يكون عمل اللسان فى الصوتين المتجاورين عملاً واحداً[٣].

وممن عنوا بالمماثلة وأفردوا لها مساحة لا بأس بها الدكتور عبدالصبور شاهين، وكان ذلك فى كتابه «أثر القراءات فى الأصوات والنحو العربى»، حيث عرض لآراء بعض المحدثين الغربيين فى المماثلة، وقد بين أن إطلاق المماثلة شامل لكل تأثير يحدث بين صوتين متجاورين فيقارب بينهما، مهما يكن مبلغه، وأهم ما أشار إليه فى حديثه هو حصر الأسباب التى تؤدى إلى تحقيق المماثلة فيما يأتى:

١ – وجود قوة ذاتية فى الصوت المُؤَثِّر تميزه عن مجاوره الذى يتأثر به، وتتحقق هذه القوة:

---

(١) ينظر الأصوات اللغوية، د. إبراهيم أنيس ١٧٩ – ١٨٤.

(٢) السابق.

(٣) ينظر اللجهات العربية فى التراث ٢٦٦ – ٢٧٣.

(أ) بوجود صفة ذاتية لا يتخلى عنها الصوت كالاستطالة، والتكرير، والصفير، والغنة، واللين، والمدّ.

(ب) بوجود صفة ذاتية يتخلى عنها الصوت أحيانا كالإطباق.

والصوت الذى يتصف بصفة من هذه الصفات يمكن أن يعد صوتًا ممتازًا، أو أكثر مقاومة، أو أكثر استقراراً وثباتا.

٢- وجود قوة فى الصوت بحكم الموقع، كأن يكون الصوت المؤثِّر فى بداية المقطع، فى حين يكون الصوت المتأثر فى نهاية المقطع السابق، وبناء على هذا فهو خاص بالتأثر الرجعى وحده.

٣ - العامل النفسى العضوى، ويختلف معناه فى المماثلة الرجعية عن معناه فى المماثلة التقدمية.

فهو يعنى عندما تكون المماثلة رجعية: الإسراع بحركات النطق عن مواضعها.

ويعنى عندما تكون المماثلة تقدمية: التزام حركات النطق والجمود عليها[١].

٤ - عامل الانسجام بين أصوات اللين: وهذا قد ذكره بمناسبة اختيار أبى عمرو بن العلاء كسر الميم فى (بملكنا) من قوله: ﴿مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا﴾ [طه: ٨٧]. وفتح الغين فى (غرفة) من قوله: ﴿إِلاَّ مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ﴾ [البقرة: ٢٤٩]، فقال: إنه اختيار مبنى على قانون الانسجام الشائع فى لهجات البدو الذى يظهر فيه انسجام الحركات المشهور عن تميم؛ لأنهم أهل بداوة ينزعون إلى إحداث هذا الانسجام فى أصوات اللين[٢].

وأيضًا وجدنا الدكتور عبد الغفار هلال يتحدث عن المماثلة حديثًا مفصلاً فى كتابه «أبنية العربية فى ضوء علم التشكيل الصوتى»، ومن أهم ما ذكره بشأنها ما يأتى:

---

(١) ينظر أثر القراءات فى الأصوات والنحو العربى ٢٣١ - ٢٣٩.

(٢) انظر أثر القراءات فى الأصوات والنحو العربى ٣١٢، ٣١٣، وقارن مع كتاب فى اللهجات العربية د. أنيس ٩٦.

١ – أن المماثلة أحد المظاهر لتجاور الأصوات فى الكلمات، وأن التأثر بالمجاورة يقع بين السواكن، ويقع بين العلل، وقد يقع بينهما معا، ولكن لوضوح التأثر بين السواكن فصّل الباحثون أنواع التأثر فيها، وبينوا اتجاهاته.

٢ – «إذا تواءمت الأصوات المتجاورة مخرجا وصفة سهل نطقها، وتحققت لها السلاسة والانسجام، فلا يتناول التغيير شيئًا منها. أما إذا كانت متنافرة فى ذلك، فإن جهاز النطق يتعثر فى التفوه بها، وهنا يلزم نوع من التغيير فى بعض تلك الصور؛ ليمكن النطق بها دون معاناة أو نفور».

٣ – الموافقة بين الحركات ضرب من تجانس الصوت وانسجامه، يؤدى إلى الإسراع والخفة، وهو منسوب إلى أهل البادية، الذين يقتصدون فى الجهد العضلى، ويعمدون إلى سهولة إخراج الأصوات.

٤ – هذه التغييرات – كما ذكر بعض الباحثين – تحدث بصورة غير واعية، ولا تفطن إليها أذن السامع، ولكنها تظهر بوضوح فى التسجيلات الطيفية[١].

ومنه يتضح أن أسباب المماثلة تنحصر فى شيئين:

أحدهما: العامل العضوى، وهو تعثر الجهاز النطقى فى التفوه بالأصوات المتجاورة المتنافرة.

ثانيهما: العامل النفسى وهو الإسراع والجنوح إلى ما هو أخف، وذلك مألوف فى طبيعة أهل البادية، دون قصد منهم إلى شىء من ذلك.

٥ – لوْ تركت المماثلة تعمل عملها دون عوائق ربما أدى ذلك إلى خلط الأبنية وعدم معرفة أصول الكلمات، فإذا كانت المماثلة تقلل من الخلاف بين الفونيمات، فإن المخالفة الصوتية تستخدم لإعادة الخلافات التى لا غنى عنها، ولإبراز الفونيمات فى صورة أكثر استقلالية[٢].

ويعد من صميم البحث فى المماثلة بين الحركات ما كتبه الدكتور محمد

---

(١) انظر أبنية العربية فى ضوء علم التشكيل الصوتى ١٧٥، ١٨٧ ط أولى ١٩٧٩م. وقارن مع دراسة الصوت اللغوى ٣٢٨.

(٢) أبنية العربية فى ضوء على التشكيل الصوتى ١٨٨، ودراسة الصوت اللغوى ٣٣٠.

خاطر فى العدد الثامن من مجلة كلية اللغة العربية فى القاهرة تحت عنوان: «إتباع الحركة فى القراءات»، حيث جمع عدداً كبيراً من القراءات التى وقع فيها إتباع الحركة أو السكون لحركة سابقة أو لاحقة، وكان قد أورد صور الإتباع للفتحة، ثم صور الإتباع للضمة، ثم صور الإتباع للكسرة، مقدماً فى كل الحالات الصيغة الأصلية، مع نسبتها إلى السورة والآية، ثم يذكر الصيغة الطارئة، مع نسبتها إلى من قرأ بها، وتوثيقها من المراجع الأربعة التى اعتمد عليها، أو من بعضها.

والذى يعنينا هنا اقتناص ما يعد قانونا أو نتيجة لهذه الدراسة، ومن أهم تلك القوانين والنتائج ما يأتى:

١ – ينبغى ألا يحمل على الإتباع (المماثلة) إلا ما اتحد معناه على اختلاف الضبط، أمّا ما اختلف معناه باختلاف الضبط فهو من المتغاير[١].

٢ – الصيغة الأصلية دائماً هى الأكثر والأخف قياساً واستعمالاً[٢].

٣ – يؤكد البحث ما قرره المتقدمون من درجات القوة فى الحركات والسكون، فأقواها الضمة، تليها الكسرة، تليها الفتحة، يليها السكون[٣].

٤ – ورود الإتباع فى قراءات قراء تختلف أصولهم القبلية، وتتعدد بيئاتهم الجغرافية والاجتماعية ينفى أن يكون الميل إلى المماثلة أو المضارعة بين الأصوات مقصوراً على البيئة البدوية[٤].

٥ – لا تتضح ولا توجد علاقة بين الحركة ونوع الحرف، سواء نظرنا إلى الحركة التابعة أم إلى الحركة المتبوعة[٥].

---

(١) إتباع الحركة فى القراءات ص ١٥، العدد الثامن (مجلة كلية اللغة بالقاهرة).

(٢) السابق ٢٩.

(٣) السابق ٤٥، وبعض الباحثين يرتبها كذلك بحسب الثقل والخفة: ينظر ٧٤ من خصائص اللغة العربية د. محمد حسن جبل.

(٤) السابق نفسه.

(٥) السابق نفسه، وهذا خلاف ما عليه القدماء والمحدثون، انظر فى ذلك ٢٨٨ القراءات القرآنية فى ضوء علم اللغة الحديث.

٦ – السكون – فيما قرر علماء العربية – أخف من الحركات، يليه الفتح، ثم الكسر، ثم الضم، ولذا كان السكون أكثر ويعد أصلا فيما جاء فى عينه الحركة والسكون، فإذا عدلوا عن السكون فى عين (فَعْل) إلى (فَعَل) كان ذلك لعلة الإتباع (المماثلة) ليكون عمل اللسان وأعضاء النطق من وجه واحد، وعلى وتيرة واحدة[١].

٧ – تقدم الحركة يجعلها أقوى على التأثير فى غيرها وإن كان غيرها أقوى منها، فالفتحة الضعيفة إذا تقدمت صارت أقوى من الضمة المتأخرة أو من الكسرة المتأخرة[٢].

٨ – جاء إتباع الضمة السابقة للفتحة اللاحقة، ولم يأت إتباع الكسرة السابقة للفتحة اللاحقة، مما يعنى أن الضمة أقرب إلى الفتحة من الكسرة إليها[٣].

٩ – إتباع الفتحة للكسرة أكثر، وإتباع الضمة للكسرة كثير، وأقل منهما إتباع السكون للكسرة[٤].

١٠ – إذا جاز فى الإتباع أن يكون لحركة سابقة أو لحركة لاحقة كان الإتباع للسابق أولى لأنه الأكثر فى كلامهم[٥].

وسوف نضيف إلى هذا الذى قدمناه شيئا من التقعيد والتقنين أدّى إليه النظر فى الشواهد التطبيقية من قراءة يحيى بن وثاب.

* * *

---

(١) السابق ص ١٤.
(٢) السابق ص ١٩.
(٣) السابق ص ٢٢.
(٤) السابق ص ٣٧.
(٥) السابق ص ٣٨، ٤٥.

التطبيق على المماثلة فى الحركات من قراءة يحيى بن وثاب

١ - شواهد المماثلة الكلية

أولاً: المماثلة فى صيغ الأفعال:

١ - من ذلك الفعل «نعم» من قوله تعالى: ﴿فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٤].

وقوله تعالى: ﴿نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص: ٣٠، ٤٤].

و«نعم» كما ذكر صاحب اللسان: فعل من أفعال المدح، فيه أربع لغات هى:

(أ) نَعِم: بفتح أوله وكسر ثانيه.

(ب) نِعم: بكسر النون إتباعا لكسرة العين.

(ج) نَعْم: بكسر النون، وإسكان العين تخفيفا.

(د) نَعْمَ: بفتح النون كاللغة الأولى وإسكان العين تخفيفا[١].

وجميع هذه اللغات ورد فى القراءات القرآنية:

● **فاللغة الأولى** من الترتيب السابق (نَعِم) بفتح الأول وكسر الثانى - قرأ بها يحيى بن يعمر فى الرعد وص، وذكر أبو حيان، والسمين الحلبى أنها الأصل[٢]، وقرأ بها ابن عامر وحمزة والكسائى وخلف قوله تعالى فى البقرة: ﴿إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ﴾ [البقرة: ٢٧١]، وقوله فى النساء: ﴿إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ﴾ [النساء: ٥٨]، بفتح النون وكسر العين مشبعة من (نعما) على الأصل، والفعل كعلم، ووافقهم الأعمش[٣].

● **واللغة الثانية** «نِعم» بكسر النون وكسر العين قرأ بها **يحيى بن وثاب** آيتى الرعد وص[٤]، وقرأ بها أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو وعاصم

---

(١) بتصرف من اللسان، مادة (نعم).

(٢) البحر المحيط ٦/ ٣٨٢، والدر المصون ٧/ ٤٥، ٩/ ٣٧٤ تحقيق د. أحمد الخراط.

(٣) إتحاف فضلاء البشر ١/ ٤٥٥.

(٤) مختصر فى شواذ القرآن لابن خالويه ص ٧١.

ويعقوب آيتى البقرة والنساء، بكسر النون إتباعا لكسرة العين، وهى لغة هذيل[١].

● **واللغة الثالثة** «نِعْم» بكسر النون وسكون العين قرأ بها الجمهور من القراء آيتى الرعد وص[٢]، وهى قراءة أبى جعفر، واليزيدى والحسن[٣]، وقد قال عنها أبو حيان إنها الأكثر استعمالاً[٤].

● **واللغة الرابعة** «نَعْم» بفتح النون وسكون العين، قرأ بها **يحيى بن وثاب** وحده، قال أبو حيان: وتخفيف (فَعِل) لغة تيمية[٥]، وقال السمين الحلبى: إنها تخفيف الأصل، وقال: ولغة تميم تسكين فَعِل مطلقا[٦].

وقولهم عن الصيغة الأولى (نعم) كعلم إنها الأصل يستفاد على وجه الضرورة من النظر فى كتب اللغة والنحو والصرف؛ لأن الصيغة الأصلية لفعل المدح الثلاثى المجرد لا تخلو من أن تكون على فَعَل بفتح الفاء مع فتح العين أو كسرها أو ضمها، ولم يسمع فى الفعل المذكور فتح العين ولا ضمها، فتعين أن يكون فتح الفاء مع كسر العين هو الصيغة الأصلية فى فعل المدح.

أما الصيغة الثانية بكسر النون والعين (نِعِم) فهى متفرعة عن الصيغة الأولى الأصلية، وذلك التفريع خاص بما هو حلقى العين عند سيبويه، ذكر ذلك فى قوله: (هذا باب الحروف الستة [أى الحلقية] إذا كان واحد منها عينا، وكانت الفاء قبلها مفتوحة، وكان فَعِلاً) ثم قال: إذا كان كذلك كسرت الفاء فى لغة تميم، وذلك قولك: . . . لعِب، وضِحِك، ونِغِل، ووِخِم، فيما كان على فَعِل إذا كان صفة أو فعلاً أو اسماً.. فكسرت ما قبل العين حيث لزمها الكسر، وكان ذلك أخف عليهم.. فأرادوا أن يكون العمل من وجه واحد، كما أنهم إذا أدغموا فإنما أرادوا أن يرفعوا السنتهم من موضع واحد..، وأما أهل الحجاز فيجرون جميع هذا على القياس[٧].

---

(١) اتحاف فضلاء البشر ١/ ٤٤٥.
(٢) الدر المصون ٧/ ٤٥.
(٣) الاتحاف ١/ ٤٥٥.
(٤) البحر المحيط ٦/ ٣٨٢.
(٥) السابق.
(٦) الدر المصون ٧/ ٤٥.
(٧) الكتاب ٤/ ١٠٧، ١٠٨ مع بعض الاختصار.

وإذا كان السابقون قد قرروا أن حرف الحلق يناسبه الفتح، وأنه من « حق الحلقى أن يفتح نفسه أو ما قبله، كما فى « يدْعَم » و« يدْمَع »؛ لثقل الحلقى وخفة الفتحة؛ ولمناسبتها له »[1]، فإنهم أنفسهم قد لحظوا أن هذا الحق قد تعطل فى لغة تميم التى تكسر النون من (نَعِم) لتصير إلى (نِعِم) بكسرتين؛ لأنهم لو فتحوا العين الحلقية فى كل ما جاء على فَعِل لم يبق شىء من فَعِل الحلقى العين مكسور الوسط، ولأدى ذلك إلى التباس صيغة فعِل بكسر العين بصيغة فَعَل بفتح العين[2].

وهنا نلحظ أن القانون السابع الذى نسبناه إلى الدكتور محمد خاطر فيما سبق وهو « الفتحة الضعيفة إذا تقدمت صارت أقوى من الضمة المتأخرة أو من الكسرة المتأخرة »[3]، ليس على إطلاقه، بدليل أنه لم يسمع فى اللغات المتقدمة(نَعَمَ) بفتح العين إتباعًا لفتح النون، فالفتحة المتقدمة بحكم الموقع تكون أقوى على التأثير فى غيرها من الضم أو الكسر ما لم يمنع من ذلك مانع كأن تجور صيغة على صيغة أو تلتبس بها.

ولذا رأينا تميما أو هذيلا – كما سبقت الإشارة إلى ذلك – تنطق بصيغة فعل المدح المذكور (نعم) بكسر النون على سبيل الإتباع لكسرة العين، وهذا بعينه ما يطلق عليه (المماثلة) أى ماثلت حركة النون حركة العين فصارت كسرة مثلها، وبتعبير آخر أثرت كسرة العين فى فتحة النون تاثيراً رجعيًا، فتحولت إلى كسرة مماثلة.

فالكسرة المتأخرة هنا أقوى بحكم تكوينها من الفتحة وإن تقدمت؛ لأن الكسرة تتكون فى مقدم اللسان، مع ضيق المسافة بين أعلى نقطة يرتفع إليها اللسان وبين مقدم الحنك الأعلى، دون حدوث الحفيف، وذلك يجعل الهواء الذى يحملها إلى خارج الجهاز النطقى أقوى اندفاعًا، فقوتها تأتى من تكوينها

---

(١) شرح الرضى على الشافية ١ / ٤٠.

(٢) ينظر الكتاب ٤ / ١٠٧، ١٠٨.

(٣) ينظر مجلة كلية اللغة العربية بالقاهرة، العدد الثامن ص ١٩.

فى موقع قريب من نهاية الجهاز النطقى، ومن ضيق المسافة بين عضوى النطق، وعلى العكس من ذلك الفتحة فهى تتكون فى موقع أسبق فى الجهاز النطقى، وتكون المسافة بين عضوى النطق أوسع ما تكون منها فى سائر الحركات والصوامت، هذا ما قرره القدماء وكثير من المحدثين[١].

فعامل القوة فى الكسرة بحكم التكوين عندما يضاف إليه العامل الاحترازى «وهو أمن التباس صيغة أصلية بصيغة أصلية أخرى» يبرر تغلب الكسرة المتأخرة على الفتحة المتقدمة فى لغة تميم وهذيل، وإنما فعلوا ذلك ليحصل نوع من التخفيف والانسجام بالخروج من كسر النون إلى كسر العين فى فعل المدح (نِعِم) الذى جاءت على نهجه قراءة **يحيى بن وثاب** ومن وافقه، لأن اللسان فى نطقه بهذه الصيغة يعمل فى جهة واحدة[٢].

وأما الصيغة الثالثة وهى (نِعْم) بكسر النون وسكون العين، فيجوز أن تكون تفريعا من الصيغة الأولى الأصلية، أى كما قالوا فى شَهِد: شَهْدَ، قالوا فى نَعِمَ: نِعْمَ، نقلوا حركة العين إلى الفاء (فاء الكلمة) وسكنوا العين كراهة الانتقال من الأخف (الفتحة) إلى الأثقل (الكسرة) فى البناء المبنى على الخفة، وهو بناء الثلاثى المجرد، وقالوا بالنقل ولم يقولوا بالحذف لكراهة حذف أقوى الحركتين وهى الكسرة[٣].

ويجوز أن تكون هذه الصيغة (نِعْمَ) تفريعا من الصيغة الثانية (نِعِم)[٤]، أى حدثت المماثلة فى الصيغة الأصلية على نحو ما ذكرناه آنفا، ثم حدث التخفيف بإسكان العين، ويبدو لى أن ذلك هو الأرجح، وأن التطور توالى فى الصيغة الأصلية مرتين: مرة بالمماثلة، ومرة أخرى بالتخلص من حركة العين فصارت العين ساكنة.

---

(١) ينظر السابق ص٤٥، وينظر مربع دانيال جونز فى علم اللغة (القسم الثانى الأصوات) ١٨٣، والأصوات اللغوية د. أنيس ص ٣٣.

(٢) ينظر شرح الرضى على الشافية ٤٠، ٤١، والمغنى فى تصريف الأفعال ٧٤، ٧٥.

(٣) ينظر شرح الرضى على الشافية ٤٢، والمغنى فى تصريف الأفعال ٧٣.

(٤) المغنى فى تصريف الأفعال ٧٣، ٧٤.

وربما كان بلوغ التطور فى هذه الصيغة (نِعْم) إلى أقصى مراحله مبرراً لشيوعها فى اللغة الفصحى وفى اللهجات الحديثة، أما فى الفصحى فيكفى دليلاً على ذلك أن كل كتب اللغة والنحو والصرف عندما عرضت لصيغتى المدح والذم القياسيتين آثرت هذه الصيغة «المكسورة الأول الساكنة الوسط» فى عنوان الباب (باب نِعْم وبِئْس)، كما أن الأمثلة الموضحة لأحوال هذا الفعل واستعمالاته تكاد تستأثر بها تلك الصيغة، أما بقية الصيغ فلم تتناول إلا للتنبيه على أنها كانت موجودة فى اللغة المحفوظة عن العرب، أو أنها مازالت موجودة فى مناطق قليلة.

ويرشح كثرة استعمال هذه الصيغة أيضًا كثرة القراء الذين جاءت قراءتهم على نهجها، وهم القراء السبعة وأبو جعفر واليزيدى والحسن، وهذا يعنى أنها أوسع بيئة وانتشاراً، ويدل على ذلك أيضًا أن المراجع العربية على اتساعها لم تنسب هذه الصيغة إلى قبيلة بعينها؛ مما يعنى دورانها على ألسنة العرب فى مختلف البيئات، وعند جميع الطبقات.

ويضاف إلى كل ذلك أنها الصيغة الأكثر استعمالاً فى اللهجات الحديثة، ففى مصر والسعودية وغيرهما من الأقطار العربية يقال فى الثناء على الشخص أو فى المصادقة عليه؛ (ونِعْم)، أى فلان صاحب كذا وكذا من الأخلاق الحميدة، ونِعْم هو، أو نِعْم هى.

يبقى الحديث عن الصيغة الرابعة (نَعْمَ) بفتح النون، وسكون العين، ويبدو أنها فرع عن الصيغة الأولى الأصلية (نَعِمَ) بفتح فكسر، تمّ ذلك بإسقاط الكسرة، فصارت العين إلى السكون، وهذا الطريق مألوف عند العرب فيما ورد من الأسماء على (فَعِل)، قال سيبويه: «هذا باب ما يسكن استخفافا وهو فى الأصل متحرك»، وذلك قولهم فى فَخِذ: فَخْذ.. وهى لغة بكر بن وائل وأناس كثير من تميم[1]، ومألوف أيضًا فيما ورد على (فَعِل) من الأفعال، سواء أكانت العين حلقية أو غير حلقية[2]، يقول سيبويه: «نِعْم وبِئْس»: إنما هما (فَعِلَ)

(١) الكتاب ٤/ ١١٣.

(٢) شرح الرضى على الشافية ١/ ٤١.

وهو أصلهما، وبلغنا أن بعض العرب يقول: «نَعْمَ الرجل»[1]، والذى حملهم على هذا أنهم كرهوا أن يرفعوا ألسنتهم عن المفتوح إلى المكسور، والمفتوح أخف عليهم، فكرهوا أن ينتقلوا من الأخف (أى الفتح) إلى الأثقل (أى الكسر) فى البناء المبنى على الخفة، أى بناء الثلاثى المجرد، فسكنوه، لأن السكون أخف من الفتح، فيكون الانتقال من الفتح إلى الأخف منه[2].

وبعض الدارسين يرى أن الصيغة الرابعة قد تطورت عن الصيغة الثانية (نِعِم) بكسرتين، بمعنى أنه «عندما أسكنت العين رجعت إلى الفاء حركتها التى أبدلت قبل لتتبع العين»[3].

والمرجح عندى أن الصيغة الرابعة تطورت مباشرة عن الصيغة الأولى (نَعِم) بفتح النون وكسر العين؛ يستأنس فى ذلك بقول السمين الحلبى: «إنها تخفيف الأصل»[4]، ثم بقول ابن منظور: «ولك أن تطرح الكسرة من الثانى، وتترك الأول مفتوحًا، فتقول «نَعْمَ) الرجل بفتح النون وسكون العين»[5].

ويبدو لى أن هذه الصيغة (نَعْمَ) التى جاءت على نهجها القراءة الثانية ليحيى بن وثاب تلى الصيغة الثالثة – التى جاءت على نهجها قراءة الجمهور من القراء – فى الشيوع والاستعمال فى ألسنة العرب، وبخاصة فى لهجات بكر بن وائل، ولهجات بنى تميم[6]، قال أبو حيان: «وتميم تسكن عين فَعِل»[7]، وقال فى موضع آخر: «تسكين عَلِمَ قياس مطرد فى لغة تميم»[8]، وقال السمين

---

(١) الكتاب ٤/ ١١٦.
(٢) السابق ٤/ ١١٤، وشرح الشافية للرضى ١/ ٤٢.
(٣) اللهجات فى الكتاب لسيبويه – أصواتا وبنية – ص ١٤٧.
(٤) الدر المصون ٧/ ٤٥ تحقيق د. الخراط.
(٥) لسان العرب مادة: (ن ع م).
(٦) ينظر الكتاب ٤/ ١١٣.
(٧) البحر المحيط ٣/ ٣٧٢.
(٨) السابق ٣/ ٧٢٩.

الحلبى: «تسكين فعل بكسر العين مقيس، وتسكين مفتوحها شاذ، كما فى قوله تعالى: ﴿ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾[1]، بإسكان الجيم فيما قرأ به أبو السمال[2].

وربما دلَّ على شيوع تلك الصيغة فى كلام بكر وتميم وجود نظائر لها فى أحرف أخرى وردت بها القراءات القرآنية، منها:

● قراءة آية البقرة (٢٥٥): ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ ﴾ بإسكان السين من الفعل (وَسِعَ)[3].

● وقراءة آية آل عمران (١٤٦): ﴿ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ بإسكان الهاء من (وهنوا)، وهى قراءة عكرمة وأبى السمال[4].

● وقراءة آية النساء (٨٣): ﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾ بإسكان اللام من (لعلْمه)، وهى قراءة أبى السمال[5].

ومن نظائرها التى ورد بها الشعر العربى قول الأخطل[6]:

فإن تبله يضجر كما ضجْر بازلٌ من الإبْل دَبْرتْ صفحتاه وغاربُهْ

حيث أسكن الشاعر الجيم من (ضَجر)، والباء من (دَبرَتْ) جريا على على نهج بنى تميم فى صيغة (فَعِل)، حيث أثر عنهم إسكان العين، فالأخطل جرى فى هذا البيت على لهجة قومه؛ لأنه من بنى الفَدَوْكس إحدى بطون تغلب ابن وائل بن قاسط من تميم[7].

---

(١) الدر المصون ٢/ ٤٠٢، والآية رقم ٦٥ من النساء.

(٢) البحر المحيط ٣/ ٦٩٥.

(٣) البحر المحيط ٢/ ٦١٢، الدر المصون ١/ ٦١٥ ط/ ١٩٩٤م.

(٤) البحر المحيط ٣/ ٣٧٢، الدر المصون ٢/ ٢٢٩ ط/ ١٩٩٤م.

(٥) البحر المحيط ٣/ ٧٢٩، الدر المصون ٢/ ٤٠٢ ط/ ١٩٩٤م.

(٦) ينظر الكامل للبرد ٣/ ٩٥ ط دار الفكر بدون تاريخ، والموضعين السابقين من البحر والدر.

(٧) ينظر الاشتقاق لابن دريد ٣٣٨.

وخلاصة القول تتضح من النظر فى الجدول الآتى:

الصيغة	أصل أم فرع	طريق التغيير فيها	أصحابها	عدد المقاطع	عدد القراء
نَعِمَ	أصل	ـــــــ	الحجازيون(١)	٣	٦
نِعِمَ	فرع	المماثلة	تميم وهذيل	٣	٧
نِعْمَ	فرع	التخفيف	تميم	٢	١٠
نَعْمَ	فرع	التخفيف	تميم	٢	

٢ – ومن ذلك أيضًا قوله تعالى: ﴿ **اذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي** ﴾ [طه: ٤٢].

قرأها يحيى بن وثاب: «ولاتنيا» بكسر التاء إتباعا لحركة النون(٢).

والإتباع كما أشرنا هو مصطلح القدماء، ويطلق عليه المحدثون المماثلة، وهى هنا مماثلة رجعية، حيث أثَّرت الكسرة التى تلى النون فى الفتحة المتقدمة التالية للتاء، فجذبت الكسرة الفتحة إليها، فصارت التاء مكسورة مثل النون، ويطلق عليها مماثلة تباعدية لوجود الفاصل بين الحركتين وهو حرف النون.

وليس بمستغرب أن يكون كسر التاء هنا من قبيل المماثلة ومن قبيل المضارعة أيضًا؛ فهذا يحدث أحيانا كما فى آية طه المذكورة، وكما فى آية الفاتحة ﴿ **وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ** ﴾ [الفاتحة: ٥]، التى قرأها عبيد بن عمير الليثى، وزر بن حبيش، ويحيى بن وثاب، والنخعى، والأعمش – بكسر النون، فهو من قبيل المضارعة التى تعنى كسر حرف المضارعة فى ألسنة بعض العرب، مثل تميم وقيس وأسد وربيعة وهذيل(٣)، وهو (أى كسر النون) من قبيل المماثلة أيضا، حيث أثرت الكسرة الطويلة المتأخرة (أى كسرة العين) على فتحة النون المتقدمة فجذبتها إليها على سبيل المماثلة الرجعية.

---

(١) قال الرضى فى شرح الشافية ١/ ٤٠ وجميع هذه التفريعات فى كلام بنى تميم، أما أهل الحجاز فلا يغيرون البناء ولا يفرعون أهـ.

(٢) مختصر فى شواذ القرآن ٩٠، البحر المحيط ٧/ ٣٣٦، الدرّ ٨/ ٤٠ وهى غير منسوبة فى الكشاف ٢/ ٥٣٨.

(٣) ينظر المحتسب ١/ ٣٣٠، واعراب القرآن ١/ ١٧٣، والبحر المحيط ١/ ٤١.

هذا الاتفاق فى الموضع يحدث أحيانًا كما أشرنا، ولا يحدث فى أحايين كثيرة، وذلك واضح من قراءة زيد بن على ويحيى بن وثاب وعبيد بن عمير الليثى لقوله ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ بكسر النون[1]، إذ يفسر بالمضارعة ولا يفسر بالمماثلة وقد رأينا فى القراءتين (تنيا – نستعين) أن الفتحة وإن تقدمت فى الموقع لم تقو على التأثير فى الكسرة المتأخرة، وإنما الذى حدث هو العكس، حيث أثرت الكسرة المتأخرة على الفتحة فجذبتها إليها؛ لأن الكسرة أقوى بحكم التكوين فى الجهاز النطقى من الفتحة، وقد شرحنا ذلك فيما سبق؛ يضاف إلى ذلك أن الفتحة وقعت فى موقع من مواقع التّخلى عنها للكسرة فى ألسنة القبائل التى سبق ذكرها، وهو اقترانها بحرف المضارعة، فذلك يجعلها عرضة للتغيير عند من ألفوا كسر أحرف المضارعة فى لهجتهم.

والآن يجوز لنا أن نصوغ هذه العبارة لتكون فى موضع الاختبار، فإذا لم يُصادمها شىء مما أثر من كلام العرب أصبحت قانونا، فنقول:

«الفتحة المتقدمة الواقعة بعد حرف من حروف المضارعة لا تقوى على التأثير فى الكسرة المتأخرة عنها».

هذا والعامل النفسى العضوى الذى هو الإسراع فى النطق بالحركات عند البدو[2] قد تسبب هنا أيضًا فى انتقال الفتحة من موضعها فى اللسان إلى موضع الكسرة؛ بحيث تتوافق الحركتان فى الجزء الذى يرتفع من اللسان، وفى درجة ارتفاعه، وفى الفراغ بينه وبين الحنك الأعلى، وفى شكل الشفتين، وإنما كان ذلك سمة من سمات البدو لما عرف عنهم من الميل «إلى تقريب الأصوات بعضها من بعض لضرب من التشاكل ومراعاة الانسجام، بحيث يعمل اللسان فى الصوتين عملا واحدًا»[3].

---

(١) السابق من البحر المحيط.

(٢) انظر أثر القراءات فى الأصوات والنحو العربى ٢٣١ – ٢٣٩.

(٣) اللهجات العربية فى التراث ٢٧٣ مع تصرف يسير.

ثانيًا : المماثلة فى صيغ الأسماء :

١ - فيما جاء على صيغة (فَعْل) :

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴾ [النحل : ٦٨] .

المراد من النَّحْل ذباب العسل، وسمى نحلاً لأن الله عز وجل نحل الناسَ العسلَ الذى يخرج من بطونها، وهو من الأسماء التى تذكر وتؤنث، والتأنيث فيه لغة أهل الحجاز، فمن ذكره فلأن لفظه مذكر، ومن أنثه فلأنه جمع نحلة(١) .

ولفظة (النَّحل) المذكورة فى الآية قرأها الجمهور من القراء بفتح النون المشددة وسكون الحاء، وقرأها يحيى بن وثاب بفتحتين(٢) .

وعلى هذا تكون هذه الكلمة مما ورد فى اللغة على (فَعْل وفَعَل) بسكون العين وفتحها، والمعنى متحد(٣) .

وإذا عقدنا مقارنة بين السكون وبين مطلق الحركة وجدنا أن السكون أخف من سائر الحركات، وأنه يؤدى وظيفة صوتية فيكون علامة على غلق المقطع الصوتى، وعلى الوقف، وعلى خُلوّ الحرف من الحركة، وأنه « وحدة فى النظام الصوتى يقف فى مقابل الحركة أيا كانت، فهو قيمة خلافية(٤)، علاقتها بالحركة علاقة الإيجاب والسلب(٥) .

وقد جعلوا السكون أصلا فيما جاء فى عينه الحركة والسكون كلفظة (النَّحْل) السابقة لأنهم وجدوا الألفاظ التى جاءت على (فعْل) بسكون العين أكثر كثيرا مما جاء على (فعَل) بفتحها، ولذا كان العدول عن أخف الأبنية إلى

---

(١) ينظر اللسان مادة (نحل)، والبحر المحيط ٦ / ٥٥٩، والدر المصون ٧ / ٢٦٢ .

(٢) المختصر فى شواذ القرآن لابن خالويه ٧٧، والكشاف ٢ / ٤١٧، والبحر المحيط ٦ / ٥٥٩ والدر المصون ٧ / ٢٦٢، وتفسير القرطبى ١٠ / ١٣٣، وفتح القدير ٣ / ١٧٥ .

(٣) إتباع الحركة فى القراءات ١٣، ١٤، العدد الثامن من مجلة كلية اللغة العربية بالقاهرة .

(٤) اللغة العربية معناها ومبناها ٢٩٥، والجانب الصوتى للوقف فى العربية ولهجاتها ٤١ .

(٥) ينظر أثر القراءات فى الأصوات والنحو العربى ٣٧٧ .

ما دونه فى الخفة، وعن أشيعها فى كلامهم إلى ما هو أقل منه محتاجا إلى سبب قوى لهذا العدول[١].

وهذا السبب يتلخص فى أمرين:

الأول: هو أن الفتحة أقوى من السكون لكونها أمرًا وجوديًا له قياس وله مخرج، بينما السكون أمر عدمى لا قياس له ولا مخرج[٢].

الثانى: هو تقدم الفتحة فى الموقع، وذلك يمنحها مزيدًا من القوة على التأثير فى اللاحق لها، فأحالت السكون الذى هو قيمة خلافية سالبة إلى قيمة إيجابية مماثلة وهى الفتحة التالية للعين.

وهذا النوع من التأثير يعرف بالتأثير التقدمى أو بالمماثلة التقدمية، حيث أثر الأول فى الثانى.

وقد أجاز الكوفيون طرد هذه المماثلة فى كل ما جاء على (فَعْل) بسكون العين، وكانت عينه حرفا من حروف الحلق، فيجيزون فيه فتح العين، فيقولون: النَّحْل والنَّحَل، والنَّهْر والنَّهرَ، والشَّعْر والشَّعَر، والصَّخْر والصَّخَر[٣]. ومن هذا القبيل أيضًا: اللغْط واللغَط، والسَّحْر والسحَر، والفَحْم، والفَحَم، والبَعْر والبَعَر، والظَعْن والظعَن، والدأْبُ والدأَب[٤].

وقد اختلفت المذاهب فى الحكم على هذا النوع من الكلمات، فالكوفيون – وعلى رأسهم الفراء – يجعلون الفتح والإسكان فى العين من باب تعاقب اللغات أو اختلاف اللهجات[٥]، والبغداديون – ويؤيدهم ابن جنى والرضى – يجعلون الفتح أثرا من آثار حروف الحلق[٦]، فالحرف الحلقى من حقه عندهم أن يفتح نفسه كما فى الأمثلة السابقة، وأن يفتح ما قبله كما فى قَرْح وقَرَح، وصدْع

---

(١) ينظر إتباع الحركة فى القراءات ١٤ (مجلة كلية اللغة العربية فى القاهرة) العدد ٨.

(٢) ينظر أثر القراءات فى الأصوات والنحو العربى ٣٧٧، والجانب الصوتى للوقف ٤٣.

(٣) ينظر المحتسب ١/ ٨٤، ١٦٧، ٢٣٤.

(٤) المخصص لابن سيده (١٥/ ٨٠).

(٥) السابق ١٥/ ٨١.

(٦) المحتسب ١/ ٨٤، ١٦٧، ٢٣٤، وشرح الرضى على الشافية ١/ ٤٠.

وصدَع، وشمْع وشَمَعَ، واللطْع واللطَع، والشّبْح والشَّبَح، وأن يفتح ما بعده كما فى الحلْب والحلَب، والحفْر والحفَر، والعَيْب والعيَب، والعذْل والعذَل[١].

وقد صرح ابن جنى بأنه يرى رأى البغداديين فى أن فتح العين له علاقة بالحرف الحلقى، فيكون أثراً من آثار حرف الحلق، ويكون فى ذات الوقت لهجة لقوم معينين، ويرى أن ذلك كان شائعًا فى لهجة عُقَيْل، مطردا فى كلامهم، وأنه كان ينطق كلهم أو بعضهم (نحَوه)، و(اللحَم) بفتح الحاء منهما، وقد يفتحون الحلقى وإن لم يكن فى موضع العين من الكلمة، فقد قالوا: (محَموم) بفتح الحاء أيضًا[٢].

لكن الذى ينبغى التنبيه عليه هو أن فتح العين مما جاء على (فَعْل) الساكن الوسط ليس وقفا على الصيغ التى اشتملت على حروف الحلق، بل إن معظم ما جاء على (فَعْل وفعَل) فى لسان العرب مما يجوز فتح عينه وإسكانها ليست العين فيه حرفا من حروف الحلق[٣] مما يدل على أنه لا فرق بين ما مضى من أمثلة وبين غيرها، كالقدْر والقدَر، والسَّطْر والسَّطَر، والنَّفْر والنَّفَر، والقط والقطَط، والشَّبْر والشبَر، والطّرْد والطَّرَد، والشلّ والشلَل، والدَّرْك والدَّرَك، والقَرْسِ والقَرَس، واليَبْس واليَبَس[٤].

وخلاصة القول فى ذلك أنه يحكم على ما فتحت عينه من الأمثلة السابقة مما لم يشتمل على حرف من حروف الحلق بأنه من باب المماثلة التقدمية التى تأثرت فيها القيمة الخلافية السالبة (السكون) بالقيمة الإيجابية المتقدمة وهى الفتحة، فصار السكون إلى فتحة مماثلة.

ويحكم على ما فتحت عينه مما اشتمل على حرف الحلق فاء أو عينا أو لامًا

---

(١) انظر نفس الصفحات من المحتسب والمخصص، واللهجات العربية فى التراث ص٢٦٣ – ٢٦٥.

(٢) الصفحات السابقة من المحتسب.

(٣) ينظر الإحصاء الدال على ذلك فى رسالة الدكتوراه للأستاذ الدكتور محمد خاطر، دراسة فى الصيغ العربية ص ٧٠٦ وما بعدها.

(٤) تنظر هذه الأمثلة فى إصلاح المنطق ٩٥ – ٩٧، وفى أدب الكاتب ٥٢٦ – ٥٢٧.

بأنه إلى جانب كونه من المماثلة يحقق نوعًا من المناسبة بين الصامت (حرف الحلق) وبين الصائت وهو الفتحة[١] .

أما تفسير هذه المناسبة فهو أن وضع اللسان والشفتين عند تكوين حروف الحلق يكون مناسبًا لوضعهما عند خروج الفتحة، حيث يكون اللسان مع الفتحة مستويا فى قاع الفم تقريبًا، وتكون الشفتان فى حال وسطى بين الانفراج والاستدارة، « وأصوات الحلق بعد صدورها من مخرجها الحلقى تحتاج إلى إتساع فى مجراها بالفم، وألا يكون هناك ما يعوق هذا المجرى فى زوايا الفم، ولهذا ناسبها من أصوات اللين أكثرها اتساعا وهى الفتحة[٢]، يضاف إلى ذلك أن حروف الحلق صعبة فى إخراجها وتكوينها؛ لكون الحلق عضلة غير مرنة ولكونها من أدخل الحروف فى جهاز النطق، وهذا يناسبه أن تكون الحركة المصاحبة من أخف الحركات، وذلك متحقق فى الفتحة التى ينساب معها الهواء فى جوف الحلق والفم انسيابًا لا يحدث مع غيرها[٣] .

ولنا بعد ذلك أن نقول عن تلك المناسبة إنها علة مرشحة لحدوث المماثلة فيما كان على (فَعْل)، وكان أحد حروفه من حروف الحلق، أما العلة الأساسية فى حدوثها فهى وجود الفتحة المتقدمة الواقعة بعد الفاء فى تلك الصيغة، وهى علة كافية لتحقيق المماثلة فيما لم يشتمل على حرف الحلق كما ذكرنا .

٢ - المماثلة فى اسم العدد (عشرة) :

من ذلك قوله تعالى : ﴿ **فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا** ﴾ [البقر: ٦٠] .

وقوله تعالى : ﴿ **وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا** ﴾ [الأعراف: ١٦٠] .

قرئت لفظة (عشرة) من الآية الأولى بكسر الشين، ونسبت القراءة بذلك

---

(١) انظر ٢٨٩ القراءات القرآنية فى ضوء علم اللغة الحديث .

(٢) فى اللهجات العربية د . إبراهيم أنيس ص ١٧٠ ط ١٩٧٣ الرابعة .

(٣) ينظر اللهجات العربية فى التراث ص ٢٦٣، والقراءات القرآنية فى ضوء علم اللغة الحديث ٢٨٨ وما بعدها .

إلى مجاهد، وطلحة، وعيسى، ويحيى بن وثاب، وابن أبى ليلى، ويزيد، وروى ذلك نعيم السعيدى عن أبى عمرو[١].

وقرأ الآية الثانية الأعمش، وابن وثاب، وطلحة بن سليمان (عشرة) بكسر الشين.

وقد روى عنهم فتحها أيضًا.

ووافقهم على الكسر فقط أبو حيوة، وطلحة بن مصرف[٢].

وأما إسكان الشين من (عشرة) فى الآيتين فهو قراءة القراء السبعة باتفاق[٣] وروى عن الأعمش، والمطوعى[٤].

ونسبت لغة الكسر إلى بنى تميم[٥]، قال أبو حيان: وكسرهم لها نادر فى قياسهم؛ لأنهم يخففون (فَعِلاً)، يقولون فى نَمِر: نمْرًا[٦].

ونسبت لغة الإسكان إلى أهل الحجاز[٧]، قال أبو جعفر النحاس: وهذا عجيب؛ لأن لغة تميم (عشرة) بالكسر وسبيلهم التخفيف، ولغة الحجاز (عشْرة) بالسكون وسبيلهم التثقيل[٨].

---

(١) البحر المحيط ١/ ٣٧٠.

(٢) الدر المصون ٥/ ٤٨٧، ونسبت القراءة بكسر الشين إلى يحيى بن وثاب والأعمش وطلحة بن سليمان فى المحتسب ١/ ٢٦١، وزاد عليهم أبو حيان فى البحر ٥/ ١٩٨ طلحة ابن مصرف، وأبا حيوة، ونسبها البنا الدمياطى فى الاتحاف ٢/ ٦٥ إلى المطوعى.

ونسبت القراءة بفتح الشين فى المحتسب ١/ ٢٦١ إلى طلحة بن سليمان - بخلاف ونسبها أبو حيان فى البحر ٥/ ١٩٨ إلى ابن وثاب والأعمش وطلحة بن سليمان، ونسبها ابن منظور فى اللسان ٤/ ٢٩٥٢ إلى الأعمش، ومثله السمين فى الدر١/ ٢٣٧ ط أولى ١٩٩٤م.

(٣) البحر المحيط ١/ ٣٦٩، ٥/ ١٩٨، والفتوحات الإلهية ٢/ ٢٠٠.

(٤) البحر المحيط ١/ ٣٧٠، وإتحاف فضلاء البشر ٢/ ٦٥.

(٥) البحر المحيط ٥/ ١٩٨، والدر المصون ١/ ٣٨٦، ٥/ ٤٨٧، وإعراب القرآن لأبى جعفر النحاس ١/ ١٨٠، ولسان العرب ٤/ ٢٩٥٢ (عشر).

(٦) البحر المحيط ١/ ٣٧٠.

(٧) المثبت فى الهامش قبل السابق، والكتاب ٣/ ٥٥٧، ٥٥٩، والمحتسب ١/ ٨٥، ٢٦١ والمخصص ١٧/ ١٠٢، والمزهر ٢/ ٢٧٥، والإتحاف ٢/ ٦٥، وشرح الأشمونى ٤/ ٦٧.

(٨) الدر المصون ١/ ٢٣٧ الطبعة الأولى ١٩٩٤م.

ولم يخالف فى نسبة الكسر إلى تميم والإسكان إلى الحجازيين إلا أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجى فى كتابه مجالس العلماء، فقد نقل عن بعض النحويين (ولم يسمهم) أن أهل الحجاز يقولون: إحدى عشَرة، وتميم تسكن الشين فتقول: إحدى عشْرة، وقد قرئ بهما[1].

وأما فتح الشين من المركب العددى الذى للمؤنث فقد نسبه السيوطى إلى بعض بنى تميم، وعزاه إلى يونس بن حبيب فى نوادره[2].

قال أبو حيان: قال الزمخشرى: الفتح لغة، وقال ابن عطية: هى لغة ضعيفة، وقال المهدوى: فتح الشين غير معروف[3].

وقال الأزهرى: وأهل اللغة والنحو لا يعرفون فتح الشين فى هذا الموضع[4].

وربما كان مراد الأزهرى أن فتح الشين فى المركب العددى للمؤنث لم يشتهر ولم يصل إلى حد المتعارف عليه، وهو لغة نادرة، قليلة الشيوع، وليس مراده أنه لم يرد فى اللغة أصلاً؛ لأن القراءة الشاذة قد وردت به، ولا خلاف بين العلماء فى أنها تَثبت بها اللغة[5].

ويذهب بعض المحدثين إلى أن اللغات الثلاث التى ذكرناها فى المركب العددى الذى للمؤنث (وهو إحدى عشرة وتسع عشرة وما بينهما) كانت

---

(١) مجالس العلماء ١٩٠ ط - الثانية ١٩٨٣م مطبعة المدنى.

(٢) المزهر ٢ / ٢٧٥، وقارن مع شرح الأشمونى ٤ / ٦٧.

(٣) البحر المحيط ١ / ٣٧٠.

(٤) نقل ذلك ابن منظور فى اللسان ٤ / ٢٩٥٢ (عشر)، والمثبت فى المطبوع من تهذيب اللغة ١ / ٤٠٧ «وتقول فى المؤنث إحدى عَشَرَة، ومن العرب من يكسر الشين فيقول عَشِرة، ومنهم من يسكن الشين فيقول: إحدى عَشْرَة..» ونص كلامه فى معانى القراءات له ١ / ١٥٢، ١٥٣: «اتفق القراء على تسكين الشين من «عَشْرَة» ها هنا وهى اللغة العالية الفصيحة، وفيها لغة أخرى «عَشِرَة» بكسر الشين، وقد قرأبها بعض القراء وهى قليلة، وأما عَشَرة (بفتح الشين) فى مثل هذا المَوضع فإن أهل اللغة لا يعرفونها، وقد قرأبها الأعمش، والعرب لا تعرفها، والقراءة المختارة (عشْرة) بسكون الشين أ هـ».

(٥) ينظر مقدمة المحتسب ١ / ٣٢، ٣٣، والنشر ١ / ١٠، ١٦، ٣٦.

موجودة فى اللغات السامية، وأن السريانية كانت تسكن الشين من (عشرة)، وأن الحبشية – وقريب منها العبرية – كانت تنطقها بالفتح، بينما كانت الأكادية تنطقها بالكسر[١].

وإذا كان من الصعب الحكم على واحدة من تلك اللغات بأنها الأصل فقد وجدنا الأشمونى فى شرحه على الألفية قد جزم بأن الفتح (لغة بعض تميم) هو الأصل[٢]، بينما أكد بعض المحدثين على القول بأن لهجة أهل الحجاز التى تسكن الشين هى الأصل الموروث عن السامية الأمّ، وأن الكسرة فى الشين على لهجة بنى تميم من قبيل اجتلاب الحركة، وهو ما يسمى بالقلقلة[٣].

ونحن نذهب مذهب المحدثين فى القول بأن الصيغة الحجازية هى الأصل؛ لأن لهجة أهل الحجاز التى تسكن الشين من المركب العددى للمؤنث كانت – ومازالت – هى الأكثر والأفشى فى الاستعمال، وهى اللغة التى جرت على نهجها قراءة الجمهور[٤]، يضاف إلى ذلك أنها الصيغة الأخف على اللسان؛ لأن سكون الشين يعدّل من توالى الحركات فى المركب العددى الذى هو كالكلمة الواحدة.

وإذا صح هذا يمكن القول بأن لهجة بعض تميم التى تفتح الشين قد تطورت عن لهجة أهل الحجاز على سبيل المماثلة التقدمية، حيث أثرت فتحة العين على السكون الذى هو قيمة خلافية سالبة فحولته إلى قيمة إيجابية مماثلة، ففتحت الشين حتى يعمل اللسان عملاً واحداً.

والفتحة كانت الأقوى بحكم كونها قيمة إيجابية، ثم بحكم موقعها المتقدم، يضاف إلى ذلك العامل النفسى العضوى، الذى يعنى الجمود على الحركة المتقدمة والالتزام بها فيما بعدها[٥].

---

(١) لهجة تميم: دراسة تاريخية وصفية ٢٩٤.

(٢) شرح الأشمونى ٤/ ٦٧.

(٣) انظر الأصل والهامش من اللهجات العربية فى التراث ٢٤٨.

(٤) البحر ٥/ ١٩٨، الإتحاف ٢/ ٦٥.

(٥) انظر على الترتيب اللغة العربية معناها ومبناها ٢٩٥، والجانب الصوتى للوقف فى العربية ولهجاتها ٤١، العدد الثامن من مجلة كلية اللغة بالقاهرة (إتباع الحركة فى القراءات ص١٩، وأثر القراءات فى الأصوات والنحو العربى ٢٣١ – ٢٣٩.

وعلى ذلك تفسر قراءة يحيى بن وثاب والأعمش وطلحة بن سليمان والجحدرى وابن الفضل الأنصارى (اثنتى عشرة أسباطا أمما) بفتح الشين من عشرة[١].

أما لهجة عامة بنى تميم وهى كسر الشين فى « إحدى عشرة وتسع عشرة » وما بينهما فتمثل التطور الثانى عندهم، ويمكن تفسيرها بحدوث المخالفة الصوتية، « وهى تعديل الصوت الموجود فى سلسلة الكلام بتأثير صوت مجاور، ولكنه تعديل عكسى يؤدى إلى زيادة مدى الخلاف بين الصوتين[٢]، وهذه المخالفة ضرورة لتحقيق التوازن، وتقليل فاعلية عامل المماثلة[٣].

وهذا معناه أن معظم بنى تميم حوّلوا فتحة الشين التى كان ينطق بها بعضهم إلى حركة مخالفة للفتحات السابقة عليها وللفتحات التالية لها، والذى مهد لحدوث هذه المخالفة ورشح وقوعها فى هذا الموقع هو أن الفتحة القصيرة عقب الشين كانت قد توسطت بين فتحتين قويتين، أولاهما – فتحة العين، وهى قوية بحكم تقدمها فى الموقع على فتحة الشين، والثانية – فتحة الراء، وهى قوية لتحصنها بحرف قوى وهو الراء المتصفة بالتكرير، فكأنها فتحة مكررة أيضاً.

وهذه المخالفة تهدف إلى أمرين:

أولهما: يتعلق بالجانب العضوى، وهو تيسير جانب النطق باللفظ عن طريق « تجنب النطق بمجموعة مصوتات متحدة الطابع متواصلة[٤].

وثانيهما: يتعلق بالجانب الدلالى، وذلك أن الكسرة بعد الشين على هذه اللهجة تنبىء عن أن هذه الصيغة خاصة بالمؤنث؛ لأن هذه اللهجة غير واردة على الإطلاق مع صيغ المركب العددى للمذكر (أحد عشر وأخواته)[٥] فهى

---

(١) البحر المحيط ٥ / ١٩٨، والدر المصون ١ / ٣٨٦، ٥ /٤٨٧.

(٢) دراسة الصوت اللغوى د. أحمد مختار ٣٢٩.

(٣) السابق ٣٣٠.

(٤) العربية الفصحى نحو بناء لغوى جديد، الأب هنرى فليش ٤٨ ط أولى ١٩٦٦م

(٥) يستفاد ذلك من خلال الأمثلة التى ذكرها سيبويه فى الكتاب ٣ /٥٥٧، ٥٥٨، ٥٥٩.

تحمل دلالة التفريق بين الصيغ التى للمؤنث، والصيغ التى للمذكر، وذلك بوجود الكسرة فى الأولى، وعدم وجودها فى الثانية[١].

وعلى ذلك النهج تفسر قراءة يحيى بن وثاب والأعمش وطلحة بن سليمان لقوله: ﴿ وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ﴾ [الأعراف: ١٦٠] بكسر الشين من عشرة، وهى أيضًا قراءة أبى حيوة، وطلحة بن مصرف والمطوعى[٢].

هذا وقد تنبه كثير من علماء العربية إلى أن نسبة التسكين إلى أهل الحجاز فى الشين من المركب العددى للمؤنث، ونسبة التحريك إلى بنى تميم هو «عكس ما عليه لغة أهل الحجاز وبنى تميم؛ لأن أهل الحجاز فى غير هذا يشبعون عامة الكلام [أى يحركون]، وبنو تميم يخففون [أى يسكنون الوسط][٣].

وكان ابن جنى قد سبق ابن سيده إلى هذه الملحوظة، فذكر أن «القبيلتين جميعًا فارقتا فى هذا الموضع من العدد معتاد لغتهما، وأخذت كل واحدة منهما لغة صاحبتها، وتركت مألوف اللغة السائرة عنها، فقال أهل الحجاز «اثنتا عشْرة» بالإسكان، وقال التميميون «عشرة» بالكسر؛ وسبب ذلك أن العدد موضع يحدث معه ترك الأصول، وتضم فيه الكلم بعضه إلى بعض، وذلك من «أحد عشر إلى تسعة عشر»[٤] فلما فارقوا أصول الكلام من الإفراد وصاروا إلى الضم، فارقوا أيضًا أصول أوضاعهم ومألوف لغاتهم، فأسكن من كان يحرك، وحرك من كان يسكن[٥].

---

(١) يؤيد هذا الكلام حديث ابن جنى فى المحتسب ١/ ٢٦٣ سطر ١١ وما بعده، إذْ يقول: إن فتح الشين خاص بصيغة واحدة بعينها من بين صيغ المركب العددى الذى للمؤنث، وهى (اثنتا عشرة) و(اثنتى عشرة)؛ حيث إن الصدر منهما يختص بالتأنيث، و(عشرة) بفتح الشين تختص بالتذكير، وكل واحد من هذين يدفع صاحبه، ولذا جاءت الآية ﴿اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا﴾ وكانت الأسباط مذكرة، والأمم مؤنثة، انتهى بتصرف.

(٢) المحتسب ١/ ٢٦١، والدر المصون ٥/ ٤٨٧، والاتحاف ٢/ ٦٥.

(٣) المخصص لابن سيده١٧/ ١٠٢.

(٤) هكذا أثبت المركب العددى فى المطبوع من المحتسب ١/ ٢٦٢، وأرى أن الأصوب من إحدى عشرة إلى تسع عشرة»؛ لأن الكلام عن المركب العددى للمؤنث، وهو فى التعليق على آية الأعراف ١٦٠ ﴿وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا﴾.

(٥) المحتسب ١/ ٢٦١، ٢٦٢.

٣ - المماثلة فيما جاء على صيغة (فُعْل):

● من ذلك قوله تعالى: ﴿قَالَ لا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾ [الكهف: ٧٣].

● وقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾ [الكهف: ٨٨].

● وقوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ إِلاَّ رَمْزًا﴾ [آل عمران: ٤١].

الكلمتان ﴿يسرا﴾ و﴿عُسْرًا﴾ اللتان زيلت بهما الآيتان الأوليان - مصدران للثلاثي المجرد، قال الفيومي: عَسُر الأمر عُسْرًا مثل قرب قربا، وعسارة بالفتح، فهو عسير، أي صعب شديد[١].

وقال أيضًا: يَسُرَ يُسْرًا من باب قَرُبَ، فهو يسير أي سَهْل[٢].

وضبط الكلمتين بضم الفاء وسكون العين في كتب اللغة يدل على أصالة سكون العين في القياس الصرفي.

وإسكان العين منهما في قراءة الجمهور من القراء[٣] يدل على فشوّ هذه الصيغة في الاستعمال.

أما ضم السين منهما «عُسُر ويُسُر» فقد قرأ به أبو جعفر المدني، وعيسى ابن عمر، ويحيى بن وثاب[٤].

وتفسر قراءة ابن وثاب ومن معه بوقوع المماثلة الصوتية التقدمية، حيث أثر الأول وهو الضم لكونه قيمة إيجابية في الثاني وهو السكون لكونه قيمة خلافية سالبة، فتحول الأخير إلى ضمة مماثلة للأولى، تحقيقًا لمبدأ الانسجام الصوتي.

---

(١) المصباح المنير ٤٠٩ (عسر).

(٢) السابق ٦٨٠ (يسر).

(٣) انظر البحر المحيط ٧/ ٢٠٧، ٢٢٣، وتفسير القرطبي ١١/ ٢٣.

(٤) المختصر في شواذ القرآن لابن خالويه ٨٤، ٨٥، وفي البحر المحيط ٧/ ٢٠٧، ٢٢٣، والدر المصون ٧/ ٥٤٣، وينسب الضم فيهما إلى أبي جعفر حيث وردا.

وكانت الضمة الأقوى بحكم تكوينها، وتقدم موقعها فى الصيغة، وصفتها الوجودية، يضاف إلى ذلك العامل النفسى العضوى الذى هو الجمود على الحركة المتقدمة والالتزام بها[١].

● والآية الثالثة قرأها يحيى بن وثاب، وعلقمة بن قيس: «إلا رُمُزًا»[٢] بضم الراء والميم[٣].

وأصل هذه الكلمة فى هذه القراءة ضم الراء وسكون الميم، وهى تحتمل أن تكون اسما للإشارة وما فى معناها، أو مصدراً سماعيًا، كشكر يشكر شكرًا، وتحتمل أن تكون جمعا لرمزة كبُسْرة وبُسْر[٤].

وأيا ما كان الأمر فقد وقعت فيها المماثلة التقدمية على النحو الذى سبق قبل قليل والهدف منها هو تحقيق نوع من الانسجام الصوتى بين الحركات المتوالية فى الكلمة الواحدة.

ونحن لا نشك لحظة فى أن أهل الحجاز كانوا يحافظون على سكون العين فيما كان الأصل فيه سكون العين مما جاء على (فُعْل)؛ لأنهم أهل تأن وتؤدة؛ ولأنهم يعطون كل حرف حقه من التحريك والتسكين، أما البدو وهم أهل تغيير فنراهم فى بعض الأحيان يُؤثرون الحركة على السكون، وقد كان بنو أسد يفعلون ذلك فيما جاء على «فُعْل» بسكون العين، صرح بذلك الفيومى وقرره فى قوله: «كل اسم ثلاثي على فُعْل بضم الفاء وسكون العين فبنو أسد يضمون العين إتباعًا للأول، نحو عُسُرٍ ويُسُرٍ»[٥].

---

(١) ينظر: إتباع الحركة فى القراءات ٤٥، والجانب الصوتى للوقف ٤١، وأثر القراءات فى الأصوات والنحو العربى ٢٣١ – ٢٣٩.

(٢) الرّمز بفتح فسكون على قراءة الجمهور معناه: تحريك الشفتين، أو إشارة باليد والرأس، أو إيماء، أو إشارة بالعين، أو بالإصبع المسبحة، أو باللسان، وقيل هو الكتابة على الأرض، وقيل هو الصوت الخفيّ، بتصرف من البحر المحيط ٣/ ١٤٠.

(٣) المختصر فى شواذ القرآن ٢٧، والكشاف ١/ ٤٢٩، والبحر المحيط ٣/ ١٤٠، ١٤١، والدرّ المصون ٣/ ١٦٦، وإعراب القرآن للنحاس ١/ ٣٥٧، وتفسير الرازى ٨/ ٤١، وشواذ القراءة للكرمانى ورقة ٤٩.

(٤) السابق من الدر المصون.

(٥) المصباح المنير ٦٩٨.

وقد كان لهذا النهج من الإتباع أو المماثلة فى كلامهم صدى واسع فى القراءة القرآنية، وبخاصة فيما عرف بالشواذ منها، ومن ذلك:

● قوله تعالى: ﴿ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ ﴾ [البقرة: ١٦٤]، فقد قرئ ﴿ الْفُلْكِ ﴾ بضم الفاء وإسكان اللام، وهو المشهور الذى عليه قراءة الجمهور، وقرئ بضم اللام على الإتباع(١).

● وقوله تعالى: ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾ [البقرة: ١٨٥]، حيث قرأ العشرة ماعدا أباجعفر بإسكان السين من «اليسر والعسر»، وقرأها أبو جعفر ويحيى بن وثاب وابن هرمز وعيسى بن عمر بضم السين منهما(٢).

● وقوله تعالى: ﴿ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، قرأ الجمهور بضم الراء وسكون الشين، وقرأ الحسن والأعشى عن أبى بكر عن عاصم بضم الشين أيضاً(٣).

● وقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ﴾ [البقرة: ٢٦٠] قرأه الجمهور بضم الجيم وسكون الزاى ﴿ جزءا ﴾ وهى الأكثر، وقرأ أبو بكر عن عاصم بضم الزاى إتباعا لضمة الجيم(٤).

● وقوله تعالى: ﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ ﴾ [البقرة: ٢٨٠] قرأه أبو جعفر بضم السين إتباعاً لضمة العين قبلها(٥).

● وقوله تعالى: ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ ﴾ [آل عمران: ٢٦] يقرأ بضم اللام على إتباعها الميم، فيكون ﴿ الْمُلْكَ ﴾ كالرُّبْع والرُّبع(٦).

---

(١) إعراب القراءات الشواذ للعكبرى ١/ ٢٢٢، ٢/ ٢٩١.

(٢) المختصر فى شواذ القرآن ١٩، والبحر المحيط ٢/ ٢٠٠، والنشر ٢/ ٤٢٧.

(٣) المختصر فى شواذ القرآن ٢٢، والبحر ٢/ ٦١٦، وإعراب القراءات الشواذ للعكبرى ٢/ ٢٦٨.

(٤) البحر المحيط ٢/ ٦٤٧، تفسير القرطبى ٣/ ٣٠١، تحبير التيسير ٩٣، والنشر فى القراءات العشر ٢/ ٤٣٨، ٤٣٩، وإتحاف فضلاء البشر ١/ ٤٥١.

(٥) النشر ٢/ ٢٣٦، والإتحاف ١/ ٤٥٨.

(٦) إعراب القراءات الشواذ ١/ ٣١٠.

● وقوله تعالى: ﴿ فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا ﴾ [النساء: ٦] قرأه عامة القراء وجمهورهم بضم الراء وسكون الشين، وقرأه الحسن بضم الراء والشين على الإتباع[١].

● وقول تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ ﴾ [النساء: ٣٧] فيه أربع لغات: ضم الباء وسكون الخاء وهى قراءة الجمهور، ولغة أهل الحجاز[٢]، ومنها ضم الباء والخاء معا، وهى قراءة لعيسى بن عمر والحسن، ولغة لبنى أسد[٣]. ومها فتح الباء والخاء لحمزة والكسائى، وفتح الباء وسكون الخاء لقتادة وابن الزبير[٤].

● وقوله تعالى: ﴿ وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً ﴾ [الأعراف: ١٤٦] قرأه أهل المدينة وأهل البصرة والأعمش بضم الراء وسكون الشين من (الرشد) وقرأه ابن عامر فى رواية بضم الشين إتباعا لضمة الراء[٥].

● وقوله تعالى: ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ ﴾ [الأعراف: ١٩٩] قرأه الجمهور بضم العين وسكون الراء، وقرأه عيسى بن عمر بضمها على الإتباع[٦].

● وقوله تعالى: ﴿ أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴾ [هود: ٨٠] قرأه الجمهور بضم الراء وإسكان الكاف، وقرأه عمرو بن عبيد، وسعيد بن أبى عروبة بضم الكاف على الإتباع[٧].

● وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ ﴾ [هود: ٨١] قرأه عيسى بن عمر «الصُبح» بضم الباء، وهو لغة أو إتْباع[٨].

---

(١) المختصر فى شواذ القرآن ٣١، والبحر المحيط ٣ / ٥٢٠ «بدون نسبة»، وتفسير القرطبى ٥ / ٣٧، وفتح القدير ١ / ٤٢٦.

(٢) البحر المحيط ٣ / ٦٣٥، والفتوحات الإلهية ١ / ٣٨١.

(٣) السابقين، والمختصر فى شواذ القرآن ٣٣.

(٤) الدر المصون ٢ / ٣٦٢، والفتوحات الإلهية ١ / ٣٨١.

(٥) البحر المحيط ٥. ١٧٤، والفتوحات الإلهية ٢ / ١٩١، والإتحاف ٢ / ٦٢.

(٦) المختصر فى شواذ القران ٥٣، والبحر المحيط ٥ / ٢٥٤، وفتح القدير ٢ / ٢٧٩.

(٧) المختصر فى شواذ القرآن ٦٥.

(٨) المختصر فى شواذ القرآن ٦٧، والبحر المحيط ٦ / ١٩١.

● وقوله تعالى: ﴿ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴾ [الكهف: ٦٦] قرأه جمهور القراء بإسكان الشين على الأصل، وقرأه الحسن وابن عامر وابن عباس واليزيدى وأبو عمرو ويعقوب بضم الراء والشين، وهو من الإتباع(١).

● وقوله تعالى: ﴿ عُسْرًا - نُكْرًا - عُذْرًا ﴾ [الكهف: ٧٣، ٧٤، ٧٦] قرأها الجمهور بإسكان الوسط، وقرأها عيسى بن عمر، ويحيى بن وثاب وأبو جعفر بضم الفاء والعين على الإتباع(٢).

● وقوله تعالى: ﴿ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ﴾ [الكهف: ٦٨] قرأه الجمهور ﴿ خبرا ﴾ بإسكان الباء، وقرأه ابن عباس وأبو عمرو والحسن والاعرج وعيسى وابن هرمز بضم الباء إتْباعا لضمة الخاء(٣).

● وقوله تعالى: ﴿ رَغَبًا وَرَهَبًا ﴾ [الأنبياء: ٩٠] قرئ بضم الراء وإسكان الغين والهاء منهما، وقرأه الأعمش بضم الراء وضم الغين والهاء(٤).

● وقوله تعالى: ﴿ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا ﴾ [الشعراء: ٢١] قرأه الجمهور بإسكان الكاف، وقرأه عيسى بن عمر، وحميد، ومجاهد بضم الكاف إتْباعا لضمة الحاء(٥).

● وقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ ﴾ [النمل: ١١] قرأه الجمهور بضم الحاء وسكون السين، وقرأه عيسى بن عمر، وعطاء بن أبى رباح، وابن مقسم بضم الحاء والسين على الإتباع(٦).

---

(١) إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٤٦٥، فتح القدير ١/ ٤٢٦، الإتحاف ٢/ ٢١٩.

(٢) المختصر فى شواذ القرآن ٨٤، وإعراب شواذ القراءات ٢/ ٢٨، والإتحاف ٢/ ٢٢١، وفى البحر ٧/ ٢٠٧ نسب ضم السين من (عسرا) إلى أبى جعفر وحده، وفى ٧/ ٢٠٨ قال: ضم الكاف من (نكرا) هو قراءة نافع وأبى بكر وابن ذكوان وأبى جعفر وشيبة وطلحة ويعقوب وأبى حاتم وفى ٧/ ٢٠٩ نسب ضم الذال من (عذرا) إلى عيسى بن عمر وحده.

(٣) المختصر فى شواذ القرآن ٨٤، المحتسب ١/ ١٦٢، ونسب ضم الباء فى البحر ٧/ ٢٠٥ إلى الحسن وابن هرمز وحدهما.

(٤) البحر المحيط ٧/ ٤٦٣، والاتحاف ٢/ ٢٦٧.

(٥) المختصر فى شواذ القرآن ١٠٧، ونسب ضم الكاف إلى عيسى وحده ٨/ ١٤٧.

(٦) إعراب القرآن للنحاس ١/ ٢٤١، وتفسير القرطبى ٢/ ١٦، والبحر المحيط ٨/ ٢١٥.

● وقوله تعالى: ﴿ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٤] قرأه الجمهور بسكون اللام من ﴿ظُلْما﴾، وقرأه عيسى بن عمر وابن مقسم بضمها إتباعا لضمة الظاء[١].

● وقوله تعالى: ﴿وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ﴾ [القصص: ٣٢] قرأه ابن عامر وأبو بكر وحمزة والكسائى وخلف ووافقهم الشنبوذى بضم الراء وسكون الهاء من (الرُّهْب)، وقرأه بضم الراء والهاء معا عيسى بن عمر، والجحدرى، وقتادة، والحسن[٢].

● وقوله تعالى: ﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ﴾ [القصص: ٣٥] قرأه الحسن بضم العين وسكون الضاد، وقرأه هو وزيد بن علىّ بضمهما جميعا[٣].

● وقوله تعالى: ﴿بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ [ص: ٤١] قرأه الجمهور بضم النون وسكون الصاد، وقرأه بضمهما أبو جعفر والحسن وشيبة، وأبو عمارة عن حفص، والجعفى عن أبى بكر، وأبو معاذ عن نافع[٤].

● وقوله تعالى: ﴿عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ﴾ [الرحمن: ٧٦] قرأه الجمهور بضم الخاء وسكون الضاد، وقرأه الأعرج بضم الضاد أيضا.. ويجوز أن يكون على الإتباع[٥].

● وقوله تعالى: ﴿يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ﴾ [الجن: ٢] قرأه الجمهور بضم الراء وسكون الشين، وقرأه عيسى بن عمر بضمتين[٦].

● وقوله تعالى: ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا﴾ [المرسلات: ١] قرأه الجمهور بضم

---

(١) المختصر فى شواذ القرآن ١١٠.

(٢) السابق ١١٤، والبحر والمحيط ٨/ ٣٠٣.

(٣) المحتسب ٢/ ١٥٢، والبحر المحيط ٨/ ٣٠٤، وفتح القدير ٤/ ١٧٣.

(٤) المختصر فى شواذ القرآن ١٣٠، والبحر المحيط ٩/ ١٦١.

(٥) المحتسب ٢/ ٣٠٥، وإعراب القراءات الشواذ ٢/ ٥٤٨، وعبارة البحر ١٠/ ٧١: وقرأ عثمان بن عفان ونصر بن عاصم والجحدرى ومالك بن دينار وابن محيصن وزهير الفرقبىّ وغيره (خضر) بسكون الضاد، وعنهم أيضا ضم الضاد أهـ.

(٦) المختصر فى شواذ القرآن ١٦٣، والبحر المحيط ١٠/ ٢٩٣.

العين وسكون الراء، وقرأه الحسن وعيسى بن عمر بضمتين إتباعا لضمة العين، وهى لغة جيدة[١].

● وقوله تعالى: ﴿ كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ ﴾ [المرسلات: ٣٣] قرأه الجمهور بضم الصاد وسكون الفاء، وقرأه الحسن بضم الفاء أيضًا[٢].

● وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴾ [الشرح: ٦] قرأه الجمهور بضم العين والياء مع إسكان السين منهما، وقرأه عيسى بن عمر ويحيى بن وثاب وأبو جعفر بضم السين منهما أيضًا[٣].

● وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴾ [العصر:٢] قرأه الجمهور بضم الخاء وسكون السين، وقرأه بضمتين الأعرج، وطلحة، وعيسى الثقفى، وابن هرمز، وزيد بن على، وهارون عن أبى بكر عن عاصم[٤].

يبقى القول بأن المماثلة فى صيغة «فُعْل» المذكورة جرت على ألسنة البدو، وكانت فاشية فى قبائل بنى أسد كما نقلنا عن الفيومى فيما مضى[٥] وربما تجاوزت حدود هذه القبائل إلى غيرها، وذلك يفهم من قول ابن جنى فى المحتسب: حكى أبو الحسن عن يونس وعيسى بن عمر أنه ما سمع فى شىء «فُعْل» إلا وقد سمع فيه «فُعُل» بضمتين[٦]، وهذا الوجه إلى جانب كثرته فى الاستعمال وجريانه على الألسنة، وصف بأنه «لغة جيدة»[٧].

وهذا لا يمنع من القول بأن الصيغة الأصلية (فُعْل) بضم الفاء وسكون العين هى الأكثر والأجود؛ لكونها الأخف على اللسان، إذْ هى تقلّ حركة، وتدمج المقطعين الصوتيين فى مقطع واحد، ولذا كانت الصيغة التى جرت عليها

---

(١) البحر المحيط ١٠/ ٣٧٣، وإعراب القراءات الشواذ ٢/ ٦٦١، والإتحاف ٢/ ٥٨٠.
(٢) المحتسب ١/ ١٦٢، ٢/ ٣٠٦، والبحر المحيط ١٠/ ٣٧٨.
(٣) إعراب القرآن للنحاس ٥/ ٢٥٣، والبحر المحيط ١٠/ ٥٠١، والفتوحات الإلهية ٤/ ٤٦٢.
(٤) البحر المحيط ١٠/ ٥٣٩، وتفسير القرطبى ٢/ ١٨٠.
(٥) المصباح المنير ٦٩٨.
(٦) المحتسب ٢/ ١٦٢، ١٧٠.
(٧) إعراب القراءات الشواذ للعكبرى ٢/ ٦٦١.

القراءات المشهورة المنسوبة لجمهور القراء السبعة والعشرة، وكانت الصيغة المماثلة للغة أهل الحجاز ولبنى تميم أيضاً[1].

٤ - المماثلة فى صيغة (مُفْعَلات) اسما للفاعل على غير القياس:

من ذلك قوله تعالى: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ﴾ [النساء: ٢٤].

وكلمة المحصنات بفتح الصاد اسم فاعل، مأخوذة من أحصن إذا تزوج، وهى على غير قياس اسم الفاعل من الرباعى المبدوء بالهمزة، روى الأزهرى عن ابن الأعرابى أنه قال: كلام العرب كله على أفعل فهو مُفْعِل، إلا ثلاثة أحرف: أحصن فهو مُحْصَنٌ، ألفج فهو مُلفَجٌ، وأسهب فهو مُسْهَبٌ، وزاد ابن سيده: أسهم فهو مُسْهَمٌ[2].

والآية معطوفة على أصناف من يحرم نكاحهن فى الآية المتقدمة، أى حرمت عليكم أمهاتكم والمحصنات من النساء، أى حرم عليكم نكاح أمهاتكم ونكاح المتزوجات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم بنكاح أو بملك.

وهذه الكلمة (المحصنات) قرأها القراء السبعة فى هذا الموضع بفتح الصاد[3] قال أبو عبيد: أجمع القراء [أى السبعة] على نصب الصاد فى الحرف الأول من النساء، فلم يختلفوا فى فتح هذه؛ لأن تأويلها ذوات الأزواج يُسْبَيْن فَيُحِلُّهُنَّ السباء لمن وطئها من المالكين لها، وتنقطع العصمة بينهن وبين أزواجهن بأن يحضن حيضة ويطهرن منها[4].

وقرأ يحيى بن وثاب (والمُحْصِنات) بضم الصاد إتْباعا لضمة الميم السابقة[5]، ونسب أبو حيان هذه القراءة إلى يزيد بن قطيب، حيث قرأ بضم الصاد إتباعا لضمة الميم، ولم يعتدوا بالحاجز الساكن لأنه غير حصين[6]، وقد

---

(١) البحر المحيط ٣/ ٦٣٥، والفتوحات الإلهية ١/ ٣٨١.

(٢) المصباح المنير ١٣٩، واللسان ٩٠٢ (حصن).

(٣) البحر المحيط ٣/ ٥٨٤. (٤) اللسان ٩٠٢ (حصن).

(٥) شواذ القراءة واختلاف المصاحف للكرمانى ورقة ٥٩ وبدون نسبة فى إعراب القراءات الشواذ للعكبرى ١/ ٣٧٨.

(٦) البحر المحيط ٣/ ٥٨٤.

جاءت نظائر لهذه القراءة، منها قراءة ابن أبى عبلة ﴿ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ﴾ [الأنعام: ٩٨][1]، بضم التاء فيهما إتباعا لضمة الميم السابقة، ومنها قراءة بعض المكيّين ﴿ بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾ [الأنفال: ٩]، بتضعيف الدال وضم الراء إتباعا لضمة الميم السابقة، قال أبو حيان: وروى عن الخليل أنه يضم الراء إتباعا لحركة الميم[2].

وما حدث هنا من الإتباع أو المماثلة التقدمية التى أثر فيها الصوت الأول وهو ضمة الميم فى الصوت الثانى وهو فتحة الصاد أو فتحة التاء أو فتحة الراء من الأمثلة المذكورة – سببه العامل النفسى العضوى المتمثل فى الجمود على الحركة السابقة والتزامها فيما بعدها[3] وذلك يحقق نوعًا من الانسجام بين الأصوات المتماثلة، ونوعًا من التخفيف « يتمثل فى استمرار مواضع أداء الحركة فى الفم على هيئة واحدة فى الصوتين، وتجنب الانتقال من هيئة إلى خرى »[4].

٥ – المماثلة فيما جاء على فعيل بمعنى مفعول:

من ذلك قوله تعالى: ﴿ وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴾ [مريم: ٢٥].

ولفظة الجنى معناها الثمر المجتنى مادام طريا[5].

وهذه قرأها الجمهور بفتح الجيم، وأصلها (جنيي) على فعيل بمعنى مفعول، أدغمت الياء فى الياء.

وقرأها طلحة بن سليمان، ويحيى بن وثاب بكسر الجيم إتباعا لحركة النون[6].

وتفسر هذه القراءة الأخيرة بحدوث المماثلة الرجعية التى أثر فيها الصوت

---

(١) وانظر السابق. (٢) البحر المحيط ٥ / ٢٧٩.

(٣) انظر أثر القراءات فى الأصوات والنحو العربى ٢٣١ – ٢٣٩.

(٤) خصائص اللغة العربية د. محمد حسن جبل ١٢٤.

(٥) اللسان ط (٧٠٧) جنى.

(٦) شواذ القراءة للكرمانى ورقة ١٤٧، وإعراب القراءات الشواذ ٢ / ٤٨، والمحتسب ٢ / ٤١، والكشاف ٢ / ٥٠٧، والبحر المحيط ٧ / ٢٥٥، والدر المصون ٤ / ٥٠١.

الثانى وهو كسرة النون فى الصوت الأول وهو فتحة الجيم، فتحولت إلى كسرة مماثلة لما بعدها تحقيقًا للانسجام بين الحركات المتجاورة، حيث لم يفصل بين الحركتين إلا صامت واحد وهو النون.

وننبه هنا إلى أن الفتحة وإن تقدمت فى الموقع على الكسرة لم تقو على التأثير فيها؛ ذلك لأن الكسرة كانت قد تحصنت بالياءين الشبيهتين بالصائت من جهة، ومن جهة ثانية لو أتيح للفتحة أن تؤثر فى الكسرة فى هذه الصيغة لأدى ذلك إلى أن تصير الكلمة على وزن مفقود بين أبنية اللغة العربية، «لأنه ليس فى الكلام فعَيْل»[1].

وبناء على ذلك يمكن صياغة هذا الفرض على النحو الآتى:

«الكسرة القصيرة المتأخرة المجاورة للياءين الشبيهتين بالصائت أقوى من الفتحة المتقدمة فيما جاء على وزن فَعِيل».

٦ - المماثلة فيما جاء على وزن «فعول» مصدراً أو جمعًا:

● من ذلك قوله تعالى: ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ [مريم: ٥٨].

لفظة ﴿بُكِيًّا﴾ تحتمل أن تكون مصدراً للفعل بكى بكيا، وأصله بكى بُكُويا، مثل جلس جلوسًا، ثم قلبت الواو ياء، وأدغمت فى الياء، وقلبت ضمة الكاف كسرة لتناسب الياء، فصارت ﴿بُكِيًّا﴾[2] ويكون المعنى خروا ساجدين، وبكوْا بُكاءً.

وتحتمل أن تكون جمعا، إذ يقال: رجل باك، ورجال بكاة وبُكىّ، وأصله «بُكُوى» على «فُعُول» فعلوا به من القلب والإدغام مثلما فعلوا على تقدير كونه مصدراً، والمعنى خروا ساجدين وانهمرت أعينهم باكين.

وهذه اللفظة «بكيا» قرأها الجمهور بضم الباء، وقرأها يحيى بن وثاب

---

(١) الكتاب ٤ / ١٠٨.

(٢) هذا معناه أن الياءين الشبيهتين بالصائت أثرتا فى الضمة التى كانت تلى الكاف فى الأصل المفترض للكلمة تأثير رجعيا، فتحولت الضمة إلى كسرة على سبيل المماثلة الرجعية.

وعبد الله بن مسعود، والأعمش، وحمزة والكسائى – بكسر الباء إتباعا لحركة الكاف[1].

وعلى كلا الاحتمالين المصدر أو الجمع يكون الكسر فى الباء من قبيل المماثلة الرجعية، حيث أثر الثانى وهو كسرة الكاف فى الأول وهو ضمة الباء فتحولت إلى كسرة مماثلة ليكون عمل اللسان فى الحركتين واحداً، وإنما كانت الكسرة المتأخرة أقوى من الضمة المتقدمة؛ لأنها أى الكسرة بحكم تكوينها تنتسب إلى طرف اللسان ومقدمه كما سبق أن ذكرنا، ولأنها تحصنت بالياءين الشبيهتين بالصائت بعدها، يضاف إلى ذلك أن اللغة العربية تنفر من موقعية الضمة قبل الياء كما حدث فى مثل «مُوقن وموسر» قبل الإعلال، ومن موقعية الواو قبل الياء، وبخاصة فى طرف الكلمة كما حدث فى «بُكوى» الأصل المفترض قبل الإعلال أيضاً، لهذا كله كانت الكسرة المتأخرة هنا أقوى من الضمة المتقدمة، «وهى بطبيعتها أسهل فى الأداء من الضمة أيضاً»[2].

ويمكن صياغة قانون هذه المماثلة على النحو الآتى:

«الكسرة القصيرة المتأخرة المجاورة للياءين الشبيهتين بالصائت أقوى من الضمة المتقدمة فيما جاء على وزن (فُعُول).

● ومن أمثلة ما جاء على فُعول» مصدراً:

قوله تعالى: ﴿وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٤].

ولفظة ﴿عُلُوًّا﴾ مصدر للفعل علا علوا، بمعنى تجبّر وتكبّر[3].

قرأها الجمهور بضم العين واللام، وقرأها عبد الله بن مسعود، ويحيى بن وثاب والأعمش، وطلحة، وأبان بن تغلب (عِليًّا) بقلب الواو المشددة ياء مشددة، مع كسر العين واللام[4].

---

(١) ينظر البحر المحيط ٧ / ٢٧٧، والنشر ٢ / ٣١٧، وسراج القارئ المبتدئ ٢٨٤ وغيث النفع ٢٨٥، والإتحاف ٢٩٨ مصورة عن ط عبدالحميد حنفى ١٣٥٩هـ.

(٢) انظر القراءات القرآنية فى ضوء علم اللغة الحديث ٢٩٠، بتصرف يسير.

(٣) المصباح المنير ٤٢٨ (علو).

(٤) البحر المحيط ٨ / ٢١٦ ونسبها ابن خالوية فى المختصر ص ١١٠ إلى طلحة والأعمش وابن مسعود فقط.

ورويت القراءة عن يحيى بن وثاب والأعمش وطلحة (عُلِيًّا) بضم العين وكسر اللام[1].

والكلمة المذكورة وزنها (فُعُول)، وأصلها قبل الإعلال (عُلُوو) ثم أدغمت الواو فى الواو فصارت (علوا)، وعليها جاءت قراءة الجمهور، وهى اللغة المطردة فى القياس والاستعمال.

أما الصورتان الأخريان اللتان جاءت عليهما قراءتا يحيى بن وثاب ومن معه فقد تطورتا عن قراءة الجمهور بطريق المخالفة الصوتية، ثم بطريق المماثلة الرجعية، فالعرب الذين كانوا ينطقون وفق القراءة الثالثة (عليا) بضم فكسر، وجدوا أن لغة الجمهور (عُلُوًّا) قد توالت فيها الأمثال، وهى الضمة التى تلى العين، والضمة التى تلى اللام، والواوان، وهما من جنس الضم، فخالفوا بين هذه المتماثلات، فكسروا اللام، واستلزم ذلك قلب الواو المشددة فى الطرف، فصارت الصورة بعد إجراء المخالفة (عُلِيًّا) بضم العين وكسر اللام.

أما العرب الذين كانوا ينطقون وفق الصورة الثانية (عليًّا) بكسر العين واللام والياء المشددة – فقد تطور نطقهم عن الصورة الثالثة (عُلِيًّا) بطريق المماثلة الرجعية حيث أثر الصائت المتأخر وهو الكسرة التى بعد اللام فى الصائت المتقدم وهو الضمة التى تلى العين، فحولتها إلى كسرة مماثلة؛ ليعمل اللسان عملاً واحداً عندما ينطق بكسرتين متجاورتين.

وقانون هذه المماثلة كالآتى:

«الكسرة القصيرة المتأخرة المجاورة للياءين الشبيهتين بالصائت أقوى من الضمة المتقدمة فيما جاء على وزن فُعُول».

● **ومن أمثلة ما جاء على «فُعُول» جمعا:**

قوله تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَداً لَّهُ خُوَارٌ﴾[الأعراف: ١٤٨] قرأ السبعة والحسن وأبو جعفر وشيبة كلمة (حُلِيِّهِمْ)

---

(١) البحر المحيط ٨/ ٢١٦ ونسبها ابن خالوية فى المختصر ص ١١٠ إلى طلحة وحده.

بضم الحاء وكسر اللام،، وهى جمع على وزن «فعول» مفردها «حَلْى»، مثل ثَدْى وثُدِىّ، وأصل الجمع «حُلُوىٌ»، اجتمعت الواو والياء، وسبقت إحداهما بالسكون، فقلبت الواو ياء وأدغمت فى الياء، وكسر ما قبلها لتصح الياء[1]، فالياء المشدّدة أثرت فى الضمة التى تلى اللام تأثيرًا رجعيًا، فحولتها كسرة على جهة المماثلة بين الصائت وشبه الصائت.

وقرأ الأخوان حمزة والكسائى «من حليهم» بكسر الحاء إتباعا لكسرة اللام[2]، وهى أيضًا قراءة أصحاب عبدالله، ويحيى بن وثاب، وطلحة والأعمش[3]، وضم الحاء فى الصورة الأولى التى جاءتْ عليها قراءة السبعة أو جمهورهم «هو الأصل»[4]، وقد تطورت عنه الصورة الثانية التى تكسر الحاء فيها على سبيل المماثلة الرجعية، حيث أثر الثانى المتأخر وهو كسرة اللام فى الأول وهو ضمة الحاء؛ لتقدّم الكسرة فى الفم ولمجاورتها للياءين الشبيهتين بالصائت، وذلك يمنحها قوة على التأثير فى الضمة المتقدمة عليها، وعلى جذبها إليها، وتحويلها إلى كسرة مماثلة، والهدف من كل ذلك واضح، فمن كسر الحاء استثقل الخروج من ضم إلى كسر، وأراد أن يقرب بعض اللفظ من بعض طلبا للتخفيف، وليعمل اللسان عملاً واحداً فى الكسرتين والياء بعدها[5].

وقانون هذه المماثلة:

«الكسرة القصيرة المتأخرة المجاورة للياءين الشبيهتين بالصائت أقوى من الضمة المتقدمة فيما جاء على وزن فُعُول».

٧ - المماثلة فى المركب الإضافى «اسم الفاعل وياء المتكلم»:

من ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ﴾ [إبراهيم: ٢٢].

---

(١) البحر المحيط ٥ / ١٧٦.

(٢) السابق، وسراج القارئ المبتدئ ٢٢٧، وإبراز المعانى من حرز الأمانى ٤٨٢.

(٣) السابق من البحر المحيط.

(٤) سراج القارئ المبتدئ ٢٢٧.

(٥) الحجة فى القراءات السبع لابن خالوية ١٦٤، والكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحجتها ١ / ٤٧٨، وقارن مع معانى القرآن للأخفش ٢ / ٣١٠ط الثانية ١٩٨١م.

وأصل المركب قبل الإضافة «بمصر خين لى»، وهو جمع مصرخ، كمسلمين جمع مسلم، حذفت اللام للتخفيف، وحذفت النون للإضافة، فالتقى ساكنان: ياء الجمع، وياء الإضافة، فادغمت ياء الجمع فى ياء الإضافة، ثم حركت ياء الإضافة بالفتح طلبا للخفة وتخلصا من توالى ثلاث كسرات[١]، ولأن الياء المدغم فيها تفتح أبداً[٢].

وقد جرت قراءة الجمهور من السبعة ماعدا حمزة على فتح الياء المشددة[٣]، وذلك هو القياس، والوجه الأكثر فى الاستعمال، وفى لغة العرب.

وهناك قراءة سبعية أخرى كسرت فيها ياء الإضافة على أصل التخلص من التقاء الساكنين، وإتباعا لكسرة الخاء[٤].

وعليها جاءت قراءة حمزة، ووافقه الأعمش، وتنسب إلى يحيى بن وثاب، وحمران بن أعين، وجماعة من التابعين[٥].

وقد طعن بعض العلماء فى هذه القراءة، وحكم عليها بالضعف أو بالرداءة أو بالغلط أو بالوهم أو بعدم السماع من العرب، ويكفينا من العبارات الدالة على ذلك ما يأتى:

- وقد أنكر أبو حاتم السجستانى على أبى عمرو تحسينه لهذه القراءة[٦].
- وقال أبو إسحاق الزجاج: هذه القراءة عند جميع النحويين رديئة مرذولة، ولا وجه لها إلا وجه ضعيف[٧].
- وقال الزمخشرى: وهى ضعيفة، واستشهدوا لها ببيت مجهول[٨].

---

(١) الفتوحات الإلهية ٢ / ٥٢٢.

(٢) السابق، والدر المصون ٧ / ٨٨، والإتحاف ٢ / ١٦٨.

(٣) إبراز المعانى من حرز الأمانى ٥٤٩، والموضعان السابقان من الدرّ والإتحاف.

(٤) الفتوحات الإلهية ٢ / ٥٢٢.

(٥) ينظر إبراز المعانى ٥٤٩، ٥٥٠، والبحر المحيط ٦ / ٤٢٨، والدرالمصون ٧ / ٩٣، والإتحاف ٢ / ١٦٨.

(٦) البحر المحيط ٦ / ٤٢٩، والدر المصون ٧ / ٨٩.

(٧) معانى القرآن وإعرابه للزجاج ٣ / ١٥٩، وإبراز المعانى ٥٥٠، والبحر المحيط ٦ / ٤٢٨، والدر المصون ٧ / ٩٠.

(٨) الكشاف ٢ / ٣٧٤، وإبراز المعانى ٥٥٠، والبحر المحيط ٦ / ٤٢٨، والدر ٧ / ٩٠.

هذا فى الوقت الذى أجازها فيه لفيف من النحويين واللغويين، منهم قطرب، وأبو عمرو بن العلاء، وأبو على الفارسى، وقال القاسم بن معْن- وهو من رؤساء النحويين الكوفيين -: هى صواب، وقال صاحب الإتحاف: هو متواترة صحيحة، والطاعن فيها غالط قاصر، ونفى النافى لسماعها لا يدل على عدمها، فمن سمعها مقدم عليه؛ إذ هو مثبت(١).

وقد تردد فى قبولها أبو زكريا الفراء فى معانى القرآن، فقال: وقد خفض الياء من «بمصرخى» الأعمش ويحيى بن وثاب جميعًا، حدثنى بذلك القاسم ابن مَعْن عن الأعمش، ولعلها من وهم القراء، فإنه قلّ من سلم منهم من الوهم، ثم قاسها على قولهم: منذِ اليوم، ومُذِ اليوم، قال: الرفع هو الوجه، والخفض جائز، فكذلك الياء من «بمَصرخِىّ» خفضت ولها أصل فى النصب(٢).

وقال أبو عبيد: وأما الخفض فإنا نراه غلطا؛ لأنهم ظنوا أن الباء التى فى قوله «بمصرخِىّ» تكسر كل ما بعدها، وقد كان فى القراء من يجعله لحنا، ولا أحب أن أبلغ به هذا كله، ولكن وجه القراءة عندنا غيرها(٣).

وكان الأخفش أكثر تشددا إذ قال: ما سمعت بهذا من أحد من العرب، ولا من أحد من النحويين(٤)، ووافقه فى ذلك أبو جعفر النحاس فى قوله: قد صار هذا الوجه بإجماع لا يجوز، ولا ينبغى أن يحمل كتاب الله تعالى على الشذوذ(٥).

ونحن إذْ نحسن الظن بهؤلاء الأئمة من اللغويين والنحويين نصل فى فهم كلامهم إلى ما وصل إليه أبو نصر بن القشيرى فى تفسيره، وهو أن ما ثبت بالتواتر عن النبى ﷺ لا يجوز أن يقال هو خطأ أو قبيح أو ردىء، بل فى القرآن

---

(١) إبراز المعانى ٥٤٩، ٥٥٠، والبحر ٦/ ٤٢٨، والدر ٧/ ٩٣، والإتحاف ٢/ ١٦٨.

(٢) معانى القرآن للفراء ٢/ ٧٥، وإبراز المعانى ٥٥٢، والدرالمصون ٧/ ٩٢، ٩٤.

(٣) إبراز المعانى ٥٥٠، البحر المحيط ٦/ ٤٢٨، والدر المصون ٧/ ٩٢.

(٤) معانى القرآن للأخفش ٢/ ٣٧٥، وإبراز المعانى ٥٥٠، والبحر ٦/ ٤٢٨ والدر المصون ٧/ ٩٣.

(٥) إعراب القرآن للنحاس ٢/ ١٨٣، ونفس الموضع من الثلاثة الأخيرة من السابق.

فصيح، وفيه ما هو أفصح، فلعل هؤلاء أرادوا أن غير هذا الذى قرأ به حمزة أفصح، ونقرر ما قرره أبو شامة من أنه يستفاد من كلام أهل اللغة المتقدم ضعف هذه القراءة وشذوذها، وأما عدم الجواز فلا؛ فقد نقل جماعة من أهل اللغة أن هذه لغة، وإن شذت وقلّ استعمالها[1].

هذا وقد انبرى للدفاع عن هذه القراءة، واهتم بتوجيهها الشيخ أبو شامة الدمشقى والشيخ أبو حيان، وتلميذه السمين الحلبى، وجملة ما ذكر فى ذلك أن كسر ياء الإضافة فى قراءة ابن وثاب والأعمش وحمزة «بمصرخىّ» يحمل على الآتى:

١ – ياء الإعراب ساكنة، وياء المتكلم أصلها السكون، فلما التقيا كسرت الأخيرة على الأصل فى التخلص من الساكنين، ولم يمكن تحريك الأولى لأنها علامة الجرّ؛ ولأنها مدغمة فى الثانية، والمدغم لا يكون إلا ساكنا.

٢ – أن ياء المتكلم تشبه هاء الضمير فى أن كلا منهما ضمير على حرف واحد يشترك فيه النصب والجر، وكما تكسر الهاء بعد الكسرة وبعد الياء الساكنة فى نحو: «عليه» و«فيه»، كذلك تكسر ياء المتكلم بعد الياء الساكنة[2].

٣ – أن كسر الياء فى القراءة المذكورة يحمل على الاتباع لما بعده، وهو كسر همزة (إنّى) من قوله: ﴿ **وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِي مِن قَبْلُ** ﴾ [إبراهيم: ٢٢]، كقراءة ﴿ **الْحَمْدِ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴾ [الفاتحة: ٢][3]، وكقولهم: بعير، وشعير، وشهيد.. بكسر أوائلها إتباعا للكسرة بعدها، وهذا الوجه ضعيف، أو ضعيف جداً كما عبر السمين الحلبى[4].

---

(١) إبراز المعانى ٥٥٠.

(٢) ينظر التوجيه الأول والثانى فى إبراز المعانى ٥٥١، ٥٥٢، والدر المصون ٧/ ٨٩.

(٣) وهى قراءة الحسن البصرى وابن أبى عبلة وزيد بن على ينظر المحتسب ١/ ٣٧، والدر المصون ١/ ٤١.

(٤) الدر المصون ٧/ ٩٥، وإبراز المعانى ٥٥٢.

٤ – أن ياء المتكلم لما أدغمت فيها التى قبلها قويت بالإدغام، فأشبهت الحرووف الصحاح، فاحتملت الكسر؛ لأنه إنما يستثقل فيها إذا خفت وانكسر ما قبلها[١].

ويفهم من التوجيه الأول والثانى والرابع أن ياء المتكلم إنما كسرت لوقوعها فى أحد المواقع الذى يكسر فيه الحرف، حيث كانت الحرف الثانى من الساكنين، وكان الأول منهما يلزمه السكون؛ لأنه المدغم، فقوى تحريكها بالكسر مثلما هو الغالب فيما يقع فى هذا الموقع، وناسبها الكسر لقوتها بالإدغام، ولشبهها بالحروف الصحاح.

وهذه اللغة وإن لم تكن فى شيوع الأخرى التى تفتح الياء المضافة إلى اسم الفاعل، فإنها معروفة عن بنى يربوع بن حنظلة بن مالك من تميم، فقد كانوا يكسرون ياء المتكلم إذا أضيف إليها جمع مذكر سالم، فيقولون: ضاربىٍّ، وطالبىٍّ، ومصرخىٍّ، فى كل موضع تقدمتها الياء الساكنة[٢].

وزعم قطرب بعد نسبتها إلى بنى يربوع أنهم كانوا يزيدون على ياء الإضافة ياء، وأنشد من الرجز على هذه اللغة.

أقبل فــى ثـوب معافرىٍّ بين اختلاط الليـل والعشىِّ
قال لها: هل لك ياتافىٍّ قالت لـه مــا أنت بالمـرضىِّ

وقد تابع أبو حيان أبا شامة فى نسبة الرجز للأغلب العجلى، وهو من بنى تميم، ثم نقل عنه القول بأنها لغة باقية فى أفواه كثير من الناس إلى اليوم، يقولون: «ما فِىٌّ أفعل كذا» بكسر الياء[٣].

أما التوجيه الثالث الذى يفسر كسر ياء المتكلم بالإتباع لما بعدها من كسر همزة (إنّى) فيكون من باب المماثلة الرجعية التى أثر فيها الصوت الثانى فيما

---

(١) السابق من الدر المصون.

(٢) مميزات لغات العرب/ حفنى ناصف ٢٣، ط السعادة ١٣٣٠ هـ.

(٣) ينظر المحتسب ٢/ ٤٩، وإبراز المعانى ٥٥١، والبحر المحيط ٦/ ٤٢٩، والدرالمصون ٧/ ٩٠، ٩١، وخزانة الأدب ٢/ ٢٥٧.

قبله، وقد حكم السمين الحلبى على هذا الوجه من الإتباع (أو المماثلة) بأنه «ضعيف جداً»[1].

ويبدو لى أن وجه الضعف يكمن فى كون المماثلة واقعة بين الحركتين من كلمتين، وفى أن لها وجها آخر كثير الوقوع يمكن حملها عليه، وهو المماثلة التقدمية فى الحركتين من الكلمة الواحدة، فيكون الذى أثر فى فتحة ياء المتكلم وحولها إلى الكسرة هو الكسرات المتقدمة وأشباهها، فالباء الموحدة من «بمصرخى» مكسورة، والراء مكسورة، وصفة التكرير فيها تجعلها بحرفين، والخاء مكسورة، والياءان شبيهتان بالكسرتين إلى حد كبير؛ لأن الياء الساكنة التى لم تجانسها الحركة السابقة عليها، والياء المحركة تصنف إلى نصف الصائت الذى هو الكسرة، يضاف إلى ذلك تقدم الكسرات فى الموقع، وذلك بمنحها قوة التأثير فى الفتحة المتأخرة.

كل ذلك – من وجهة نظر موضوعية – يرشح أن تكون المماثلة تقدمية، ويضعف أن تكون رجعية، وقد فطن إلى ذلك السمين الحلبى فيما نقلناه عنه آنفا، وهذا الذى ذكرنا يوافق القول «بأن إتباع اللاحق للسابق أكثر من إتباع السابق للاحق»[2]، وإذا كان ذلك مؤكداً فيما هو فى الكلمة الواحدة فإنه يكون أشد توكيداً فيما هو فى الكلمتين كالحالة التى معنا.

ولنا بعد ذلك أن نستنتج قوانين هذه المماثلة:

- «الكسرات المتقدمة وأشباهها أقوى من الفتحة القصيرة المتأخرة».
- «إذا وجد مؤثران من جنس واحد، وكان أحدهما متقدما، وكان الآخر متأخراً، كان الأولى بالتأثير هو المتقدم فى الموقع».
- «إذا جاز أن تكون الحركة المؤثرة من كلمة مستقلة عن الكلمة المتضمنة للصوت المتأثر، وجاز أن تكون من ذات الكلمة أو مما اتحد معها بالتركيب مثلاً، كان الأولى اعتبار المؤثر القريب الذى هو من بنية الكلمة ذاتها أو مما اتحد معها بالتركيب ونحوه».

---

(١) الدر المصون ٧/ ٩٥.

(٢) إتباع الحركة فى القراءات ٤٥، مجلة كلية اللغة العربية بالقاهرة، العدد الثامن.

ثالثًا : المماثلة فى الحروف :

أ - فى حرف الجر (مِن) :

من ذلك قوله تعالى : ﴿ بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ [التوبة : ١].

وقوله تعالى : ﴿ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ ﴾ [التوبة : ٣].

قرأ الجمهور من القراء بفتح النون من حرف الجر « من »، وهذه هى اللغة الكثيرة فى الاستعمال، وكان الأصل فى حركة هذه النون السكون؛ وهو قياس الحركة فى الحرف الثانى من سائر الأدوات المبنية على حرفين، نحو فى وعن وبل وهل، ومثلها فى ذلك (مِنْ) إذا لم يقع بعدها الساكن الذى هو أداة التعريف (ألْ)، فإذا وقعت بعدها فتحوا النون منها هربا من التقاء الساكنين، ولم تكسر نون (من) فى هذه الحال على أساس أن الأصل والقياس فى التخلص من الساكن هو كسر الأول منهما؛ لأن دخولها على (ألْ) كثير فى الكلام، وألْ تدخل فى كل اسم نكرة، وذلك كثير أيضًا، ففتحوا نون مِنْ قبلها استخفافا، وفرارا من توالى الكسرتين فيما يكسر استعماله[١]، قال سيبويه « لما كثرت فى كلامهم ولم تكن فعلاً، وكان الفتح أخف عليهم فتحوا، وشبهوها بأين وكيف »[٢].

وبالرغم من ذلك فقد حكى أبو عمرو عن أهل نجران أنهم يكسرون النون والميم من حرف الجر المذكور فى قوله تعالى : ﴿ بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ ﴾[٣]، قال أبو حاتم : وزعم هارون أن أبا عمرو بن العلاء قرأ (مِنِ الله) بكسر الميم والنون[٤].

ونسبت القراءة بكسر النون والميم فى قوله عز وجل « مِنِ المشركين » إلى الحسن البصرى ويحيى بن وثاب، وإبراهيم النخعى وعيسى بن عمر[٥].

---

(١) هذا التعليل للسيرافى، أثبته الشيخ عبدالسلام هارون فى هامش الكتاب ٤ / ١٥٤، وينظر القواعد والتطبيقات، عبد السميع شبانه ١٨٤، وينظر المحتسب ١ / ٢٨٣.

(٢) الكتاب ٤ / ١٥٣، ١٥٤.

(٣) المختصر لابن خالويه ٥٦، والمحتسب ١ / ٢٨٣، والبحر المحيط ٥ / ٣٦٧، وفى الدر المصون ٦ / ٦ وهى لغية.

(٤) إعراب القرآن لابى جعفر النحاس ٢ / ٢٠٢.

(٥) المختصر لابن خالويه ٥٦، واقتصر فى الاتحاف ٢ / ٨٧ على نسبتها إلى الحسن البصرى.

وقد اختلفوا فى التعليل لكسر النون فى القراءتين على ثلاثة أوجه:

الأول: هو أن الكسر فى النون من (مِنْ) إنما جاء على الأصل والقياس فى التخلص من التقاء الساكنين[١]، وهو مذهب سيبويه الذى يقول: «وزعموا أن ناسا من العرب يقولون «مِن الله» فيكسرونه ويجرونه على القياس»[٢]، ولم يبال أصحاب هذا الرأى بالكسرتين؛ لعروض الثانية[٣].

الثانى: هو أن الكسر قد يكون للتخلص من الساكنين، وقد يكون للإتباع، أى أنه صالح لهذا، ولهذا[٤].

الثالث: هو أن الكسر فى النون إتباع لكسرة الميم فى (مِنِ الله)، وفى نظائره، «وما أشبهه»[٥].

ونحن نرى الرأى الأخير؛ لأن القول بالوجه الأول فيه رجوع إلى ما هرب منه الناطقون بالفتح، وهو ثقل الكسرتين فيما يكثر استعماله، وفيه مصادمة لقانون تطور العربية نحو التخفيف ونحو السهولة واليسر، أما القول بالإتباع أو بما يسميه المحدثون المماثلة التقدمية، حيث أثرت كسرة الميم فى حركة النون وهى الفتحة فحولتها إلى كسرة مماثلة، فهو يحقق للناطقين به شيئًا من الانسجام بين الحركات، وبخاصة فى البيئات البدوية.

وقد صرح العلماء بنسبة هذه اللغة إلى قبيلتى طىء وكلب، وحكوا عنهم أنهم كانوا يقولون: «اطلبوا مِنِ الرحمن»[٦]، كما أنها حكيت عن أهل نجران فيما نقله أبو عمرو بن العلاء عنهم[٧].

* * *

---

(١) الاتحاف ٢/ ٨٧. (٢) الكتاب ٤/ ١٥٤.

(٣) القواعد والتطبيقات فى الابدال والإعلال ص ١٨٥، ط الخامسة ١٤٠٩هـ.

(٤) البحر المحيط ٥/ ٣٦٧، والدر المصون ٦/٦.

(٥) إعراب القراءات الشواذ للعكبرى ١/ ٦٠٦.

(٦) لسان العرب ٦/ ٤٢٨٢ (م ن ن).

(٧) المختصر لابن خالويه ٥٦، والمحتسب ١/ ٢٨٣، والكشاف ٢/ ١٧٢، والبحر المحيط ٥/ ٣٦٧ والدر المصون ٦/٦.